# ضرب المثل
# في سورة البقرة للإنفاق والمُنْفِقين

تأليف

**د خالد بن عثمان بن علي السبت**

أستاذ مشارك – جامعة الدمام

من ٦٧٣ إلى ٧٢٤

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:فالإنفاق في سبيل الله من القيم الرائعة والفضائل العظيمة ، والمجتمع المسلم مجتمع متكافل، يعطف الغني على الفقير ويجود عليه بفضل ماله، ويبادر منشرحا إلى الإنفاق في شتى ميادين الخير ، بنفس راضية، وقلب مطمئن ، وهمّة مسارعة إلى البذل والعطاء والإيثار رحمةً بالفقراء وتلبيةً لحوائج المعوزين وطمعا في ثواب أكرمَ الأكرمَين . وهذه دراسة تتعلق بشرح الأمثال في سورة البقرة للإنفاق والمنْفقين، وهي تبلغ خمسة أمثال.وترتكز هذه الدراسة على جانبين أساسيين:الأول: في بيان المعنى َالكلي للمثل، باعتبار التركيب. والمراد بذلك: (المعنى الإجمالي للمثل).الثاني: بيان المعاني التفصيلية للمثل، باعتبار التفريق. والمراد بذلك: (بيان المراد بكل جزء من المثل، وما يقابله من المعنى الذي ضرب له).

أهمية الموضوع :

تتجلى أهمية هذا الضرب من الأمثال من النواحي الآتية:

١- إبراز منزلة هذا الباب من أبواب العبادات مما يتعلق بالأموال، ومنزلة أهله.

٢- الترغيب في الإنفاق في سبيل الله وحث النفوس عليه لما له من مكانة ومنزلة.

٣- بيان عظيم فضل الله تعالى على عباده بتنمية نفقاتهم ومضاعفتها، بعد أن رزقهم المال ثم وفقهم إلى بذله وإنفاقه في مرضاته، ثم يضاعف لهم الأجر في ذلك كله.

٤- التعرف على الأمور التي بها يعظم ثواب الإنفاق.

٥- بيان سوء حال بعض المنفقين وما يعرض لإنفاقهم من العجب أو المن والأذى التي تبطل العمل وتحبط الثواب.

أما عن خطة البحث : فهو مكون من مقدمة وتمهيد ، ذكرت فيه تعريف المثل وأنواعه وخمسة مباحث على النحو التالي: المبحث الأول : الْمثل الأول . المبحث الثاني : الْمثل الثاني . المبحث الثالث: الْمثل الثالث . المبحث الرابع : الْمثل الرابع . المبحث الخامس : الْمثل الخامس . الخاتمة .

وتحت هذه المباحث مطالب فيها تحدثت عن معنى المثل مفرقا ومركّبا وما يستفاد منه من دقائق ومعان .

التمهيد : معنى المثل وأقسامه

من المناسب أن أشير بإيجاز إلى معنى المثل في اللغة والاصطلاح.

أ- : تعريف المثل في اللغة: يقول ابن فارس[1] رحمه الله تعالى: "الْمِيمُ وَالثَّاءُ وَاللَّامُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُنَاظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ. ...وَالْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ مَأْخُوذٌ مِنْ هَذَا، لِأَنَّهُ يُذْكَرُ مُوَرًّى بِهِ عَنْ مِثْلِهِ فِي الْمَعْنَى"[2]. فَابن فَارس رحمه الله تعالى لا يخالف فَي أن العرَب توسَّعوا في الكلام عنَدَ إطلاق هذه اللفظة بعض التوسُّع فصاروا يطلقونها على معان مقاربة، ولكنه يرى أنها لا زالت مرتبطة بأصل هذه المادة، وهو الشَّبه، وهذا أمر يمكن أن نُجْري عليه عند التأمل في كثير من المواضع، ولكن ستبقى مواضع أخرى قد لا نستطيع أن نحقق هذا فيها إلا بشيء من التكلف. وكذلك أصل المثل فيما يرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرجع إلى الشبه ، وأن المثيل هو الشبيه، قال رحمه الله: " الْمَثَل فِي الْأَصْلِ هُوَ: الشَّبِيه"[3].

## ب - : تعريف المثل في الاصطلاح:

أولاً: الْمثل عند الأدباء: المثل عند الأدباء: قول مَحْكي سائرٌ يُقْصَد به تشبيه حال الذي حُكي فيه بحال الذي قيل لأجله[4].وهذا هو المعنى المتبادر للمثل عند الإطلاق، ويسمى: (الْمَثل السائر) لذيوعه وشيوعه في النَّاس[5].ولا يوجد في القرآن شيء من هذا، فالله أعظم وأجل شأناً من أن يتمثل بقول أحد من الناس قاله في مناسبة معينة.

ثانيا: الْمثل عند علماء البيان:الْمَثل عند علماء البيان هو: المجاز الْمركّب الذي تكون علاقته المشابهة متى فشا استعماله[6].وهذا يصدق على بعض أمثال القرآن دون بعض، ومن

---

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب القزويني، المعروف بالرَّازي، لغوي، له كتب من أهمها: مقاييس اللغة، والصَّاحبي، توفي سنة ٣٩٥هـ رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٣).

(2) مقاييس اللغة (٥/٢٩٧)

(3) مجموع الفتاوى (١٤/ ٥٤ ).

(4) انظر: مجمع الأمثال (١/١) بتصرف، في تاريخ الأدب الجاهلي لعلي الجندي، ص ٢٦٠.

(5) انظر: زهر الأكم (١/ ٢٠)، والأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله (١/٤٢).

(6) انظر: بغية الإيضاح (٣/٥١٢، ٥١٧)، علوم البلاغة للمراغي، ص ٢٨٧.

ثم فإننا لا نستطيع أن نقول بأن الأمثال في القرآن هي المجاز الْمركَّب الذي علاقته المشابهة، لأننا سنخرج جملة من أمثال القرآن.

ثالثاً: الْمثل القياسي:قال آخرون في ضابط الْمثَل: إنَّه إبراز المعنى في صورة حسيَّة تَكسبه روعة وجمالاً[١]. و هذا المعنى أوسع من معنى المثل عند البيانين وعند الأدباء، ولا شك أن هذا المعنى سيستوعب مواضع كثيرة من الأمثال في القرآن.

أقسام الْمثل القياسي:وهذا النوع يمكن أن يقسم إلى قسمين:القسم الأول: التشبيه التمثيلي الذي ذُكر فيه الْمثل والْممثَّل، والْممثَّل به. القسم الثاني: يلْمح فيه التشبيه التمثيلي من السياق دون أن يصرَّح فيه بذكر الْمثل والْممثَّل، والْممثَّل به.وبهذا الاعتبار نكون قد وسَّعنا معنى المثل على ما تقرر عند الأدباء وعلماء البيان . وحقيقة الْمثل كما قال الزركشي[٢] رحمه الله تعالى: " إخراج الأغمض إلى الأظهر"[٣].

رابعاً: الأمثال التاريخية:وهناك نوع آخر سمَّاه بعضهم بالأمثال التاريخية، وهي: تشبيه واقع قائم بوقائع تاريخية، وقصص واقعية قصَّها القرآن، وما آلت إليه وما صار إليه حالها وأمرها، لتشابه الْممثَّل معها في الأوضاع والمواقف والسلوك، أو هي: تمثيل حالة قائمة، بصورة تاريخية معروفة، لبيان سنة الله تعالى في عباده، والترغيب والترهيب[٤]. ومن هنا أدخل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى القصص في جملة الأمثال لكونها إنما ذُكرت للاعتبار.والحاصل أنَّ " أمثال القرآن لا يستقيم حملها على أصل المعنى اللغوي الذي هو الشبيه والنظير، كما لا يستقيم حملها على ما ذهب إليه الأدباء في معنى الْمثل، إذ ليست أمثال القرآن أقوالاً استعملت على وجه تشبيه مضربها بموردها، كما لا يستقيم حملها على معنى الأمثال عند علماء البيان، وذلك أنَّ من أمثال القرآن ما ليس باستعارة وما لم يفش

---

[١] انظر: علوم القرآن لمناع القطان، ص ٢٩٢.

[٢] أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، ولد سنة ٧٤٥هـ، من أشهر مصنفاته: البرهان في علوم القرآن، وتوفي سنة ٧٩٤هـ رحمه الله تعالى. انظر: شذرات الذهب( ٦/٣٣٥).

[٣] البرهان في علوم القرآن (١/٤٨٦).

[٤] ضرب الأمثال في القرآن (أهدافه التربوية وآثاره)، ص ٢٦.

استعماله. ولذا كان الضابط الأخير أقرب تلك التعريفات في معنى المثل في القرآن، وهو إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيها أو قولًا مرسلًا"[1].ومن التعريفات القريبة ما ذكره الحافظ ابن القيم رحمه الله في أمثال القرآن بأنها: " تشبيه شيء بشيء في حكمه، وتقريب المعقول من المحسوس، أو أحد المحسوسين من الآخر، واعتبار أحدهما بالآخر"[2].

المبحث الأول : الْمثل الأول

قوله تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾

**المطلب الأول: معنى الْمَثَل ( الكُلِّي) باعتباره مُرَكَّباً**: قال ابن القيم رحمه الله:" شَبَّه سبحانه نفقة الْمُنفق في سَبيله –سواء كان الْمراد به الجهاد، أو جميع سبلِ الخير من كُلِّ برٍّ– بمن بذَر بذْرا فأنبتت كل حَبة منه سبع سنابل اشتملت كل سنبلة على مائة حبة ، والله يضاعفُ لمنِ يشاء فوق ذلك بحسب حال الْمُنفق، وإيمانه وإخلاصه وإحسانه ونَفع نفقته وقَدرها ووقُوعها موقعها؛ فإن ثواب الإنفَاق يتفَاوت بَحسب ما يقوم بالقَلب من الإيمانَ والإخلاَص والتَّثبيت عند النفقة، وهو إخراج المال بقلب ثابت قد انشرح صدره بإخراجه، وسَمحت به نفسه، وخرج من قلبه خروجه من يده، فهو ثابت القلب عند إخراجه، غيرِ جزعٍ ولا هلعٍ، ولا متبعه نفسه ترجف يده وفؤاده، ويتفَاوت بحسب نفع الإنفَاق ومصارفه بمواقعه، وبحسب طيب الْمنفق وزَكَاته.وتحت هذا الْمثل منَ الفقه أنَّه سبحانه شَبَّه الإنَفاقَ بَالْبذر، فالمنفق مَاله الطَّيِّبَ لله لا لغيره باذرٌ ماله في أَرض زَكيَّة، فمغلُّه بحسب بذْره وطيب أَرضه، وتَعاهد الْبذْر بالسَّقْي، ونفي الدَّغَلَ والنبات الغريبَ عنه، فإذا اَجتمعت هذه اَلأمور ولم تُحْرق الزَّرع نار ولا لَحَقَتْه جائحةٌ جاء أمثال الجبال، ٍكان مثلُه كَمثَل جنَّة بربوة، وهي المكان الْمرتفع الَّذي تكَون الجنَّةَ فيه نَصب الشَّمس والرياح فتترَبَّى

(1) علوم القرآن لمناع القطان، ص ٢٩٢ (بتصرف).

(2) إعلام الموقعين (١/١١٦).

الأشجار هناك أتمَّ تربية، فنزل عليها من السَّماء مطر عظيم الْقَطْر متتابع، فرواها ونمَّاها، فآتت أُكُلَها ضعفي ما يؤتيه غيرها بسبب ذلك الوابل ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة:٢٦٥]: مطر صغير الْقَطر، يكفيها لكرم منبتها؛ يزكو على الطَّلِّ وينمي عليه، مع أَنَّ في ذكر نوعي الْوابل والطَّلِّ إشارة إلى نوعي الْإِنْفاق الْكثير والْقليل، فمن النَّاس من يكون إنفاقه وابلًا، ومنهم من يكون إنفاقه طلًّا، واللَّه لا يضيع مثقال ذرَّة، فإن عرض لهذا العامل ما يُغرِقُ أعماله ويبطل حسناته كان بمنزلة رجل﴿ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ [البقرة:٢٦٦]، فإذا كان يوم استيفاء الْأَعمال وإحراز الأجور وجد هذا الْعامل عمله قد أَصابه ما أَصاب صاحب هذه الْجَنَّة، فحسرته حينئذ أَشدُّ من حسرة هذا على جنَّته. فهذا مثل ضربه اللَّه سبحانه في الْحسرة لسلب النِّعمة عند شدَّة الحاجة إليها"[١].

**مسألة: هل التمثيل في الآية الكريمة للمُنفِقين، مَثَّلَهُم الله بالحبة أو أنَّ في الآيةِ تقديراً ؟** قال في الكشاف: "لا بدَّ من حذف مضاف، أي: مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة"[٢]. وعن ثعلب[٣] أنهَ قال: إنما الْمثل -والله أعلم- للنفقة، لا للرجال، ولكنَّ العرب إذا دلَّ المعنى على ما يريدون، حذفوا، مثل قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ ﴾ [البقرة:٩٣]، فأضمر الحبَّ؛ لأن المعنى معلوم، فكذلك هاهنا. أراد: مثل نفقة الذين ينفقون، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ﴾[آل عمران:١٨٠].

---

[١] إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/١٤١-١٤٢).

[٢] الكشاف (١/٣١٠).

[٣] ثَعْلَب، أَبو العبَّاس، أحمد بن يحيى بن يزيد الشَّيباني، إمامٌ في النحو، ولد سنة ٢٠٠هـ، وتوفي سنة (٢٩١هـ)، رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء (١٤/٥).

يريد: بخل الباخلين فحذف البخل[١]. وقال ابن القيم:" واختلف في تفسير الآية، فقيل: مثل نفقة الذين ينفقون في سبيل الله كمثل حبة. وقيل: مثل الذين ينفقون في سبيل الله كمثل باذرَ حبة، ليطابق الْممثل للممثلِ به. فهاهنا أربعة أُمور: منفق، ونفقة، وباذر، وبذر. فذكر سبحانه من كلِ شقٍّ أَهمَّ قسميه، فذكَر من شقِّ الْممثَّل الْمنفق، إذ المقصود ذكْر حاله وشأنه، وسكَت عَن ذكر النفقة لدلالة اللفظ عليها. وذكَر من شقِّ الْممثَّل به: البذْر، إذ هو الْمحل الذى حصلَت فيه الْمضاعفة، وترك ذكر الباذر؛ لأنَ القَرض لا يتعلق بذكْره. فتأمل هذه البلاغة والفصاحة والإيجاز الْمتضمِّن لغاية البيانَ. وهذا كثير في أمثال القرآن، بل عامتها"[٢].

وقال ابن عثيمين :" والذي يظهر من الآية أنه لا يوجد فيها مطابقة بين الْممثل، والْممثل به؛ لأن الْممثل هو العامل؛ و الْممثل به هو العمل؛ فالحبة ليست بإزاء الْمنفق؛ لكنها بإزاء الْمنفَق؛ والذي يكون بإزاء الْمنفق زارع الحبة؛ ولهذا قال بعض العلماء: إن الآية فيها تقدير: إما في المبتدأ؛ وإما في الخبر: فإما أن يقدر: مثل عمل الذين ينفقون أموالهم كمثل حبة؛ أو يقدر: مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل زارعٍ حبة أنبتت سبع سنابل؛ والحكمة من هذا الطيِّ أن يكون الْمثل صالحاً للتمثيل بالعامل، والتمثيل بالعمل؛ وهذا من بلاغة القرآن "[٣].

## المطلب الثاني : معنى الْمَثَل باعتباره مُفَرَّقًا، وتفسير أجزائه:

قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ﴾: قال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى :" و الإنفاق معناه: البذل؛ و أموال: جمع مال؛ وهو كل ما يتموله الإنسان من أعيان، أو منافع؛ الأعيان كالدراهم، والدنانير، والسيارات، والدور، وما أشبه ذلك؛ والمنافع كمنافع العين

---

[١] زاد المسير في علم التفسير (١/٢٣٨).

[٢] طريق الهجرتين وباب السعادتين (١/٣٦٤).

[٣] تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٣/٣٠٨).

المستأجرة؛ فإن المستأجر مالكٌ للمنفعة"[1]. قوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ : اختلف أهل العلم في المراد بـ(سبيل الله) على أقوال: القول الأول: أنَّ المراد بـ(سبيل الله): الجهاد. وهو الذي اختاره ابن جرير رحمه الله، فقال: يعني بذلك: مثل الذين ينفقون أموالهم على أنفسهم في جهاد أعداء الله بأنفسهم وأموالهم"[2]. القول الثاني: أنَّ المراد بـ(سبيل الله): الجهاد والحج. قال ابن عباس رضي الله عنهما: نفقةُ الحَجِّ والجِهاد سواء، الدِّرهم بسبعمائة، لأنَّه في سبيلِ الله [3]. وكذا جاء عن مكحول[4]. القول الثالث: أنَّ المراد بـ(سبيل الله): ما هو أعمّ من الجهاد والحج، فكل بذْل في طاعة الله تبارك وتعالى فهو داخل فيه.

قال سعيد بن جبير: يعني في طَاعَة الله[5]. وقال الشَّعبي رحمه الله : نفقة الرجل على نفسه وأهل بيته تضاعف بسبعمائة ضِعف[6]. وقال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله : " أي: في طاعته ومرضاته، وأولاها إنفاقها في الجهاد في سبيله"[7]. ويلحق بهذا المعنى ما قاله الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: " وسبيل الله سبحانه وتعالى هو: شرعه؛ لأنه يهدي إليه، ويُوصل إليه؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾؛ وأضيف إلى الله لسببين؛ السبب الأول: أنه هو الذي وضعه لعباده، وشرعه لهم؛ والسبب الثاني: أنه موصل إليه"[8].

---

(١) تفسير القرآن الكريم لابن عثيمين (٣/٣٠٨).

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (٥/٥١٣).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٢/٥١٥).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٥٢٩-٥٣٠)، ومكحول هو أبو عبدالله مكحول الدمشقي الفقيه، توفي سنة (١١٢ هـ)، رحمه الله تعالى. انظر: سير أعلام النبلاء (٥/١٥٥).

(٥) السابق (١/٥٢٩).

(٦) انظر: زاد المسير في علم التفسير(١/٢٣٨).

(٧) تيسير الكريم الرحمن (١/١١٢).

(٨) تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٣/٢٠٨-٢٠٩).

وهكذا قوله: " ومنها : الإشارة إلى موافقة الشرع؛ لقوله تعالى:﴿ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ ؛ لأنَّ في للظرفية؛ والسبيل بمعنى: الطريق؛ وطريق الله: شرعه؛ والمعنى: أن هذا الإنفاق لا يخرج عن شريعة الله؛ والإنفاق الذي يكون موافقاً للشرع :هو ما ذكره بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾" [1]. فهذا يرجع إلى معنى (طاعته ومرضاته)، لأنه لا يطاع إلا بما شرع لعباده. وهكذا قول من قال بأنَّ المراد بـ(سبيل الله): الإخلاص لله في العمل بأن يقصدوا بذلك وجه الله عز وجل[2]، فإن ذلك بمعنى قول من قال: (طاعته ومرضاته)؛ فإن العمل لا يكون طاعة ومرضيا لله عز وجلَّ إلا إذا كان خالصاً.

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾:" هذا مثل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأنَّ الحسنة تُضاعَفُ بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾. وهذا الْمَثَل أبلغُ في النفوس من ذكْر عدد السبعمائة؛ فإنَّ هذا فيه إشارةٌ إلى أن الأعمال الصالحة ينميها الله عز وجل لأصحابها، كما ينمِّي الزرع لمن بذره في الأرض الطيبة، وقد وردت السنَّةُ بتضعيف الحسنة إلى سبعمائة ضعف"[3]. فعن عياض بن غَطيف[4]، قال: دخلنا على أبي عبيدة بن الجرَّاح نعوده من شكوىً أصابته بجنبه، وامرأته تُحيفة[5] قاعدةٌ عند رأسه، قلنا: كيف بات أبو عبيدة؟ قالت: والله لقد بات بأجر.

---

[1] السابق (٣/ ٣١٠).

[2] انظر: تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٢/ ٣٩٠).

[3] ما بين الأقواس من كلام ابن كثير من تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٩١) بتصرف واختصار.

[4] عياض بن غطيف السكوني الشاميﷺ، قال ابن الأثير: " يذكرون له صحبة ورواية عن النَّبِي ﷺ " أسد الغابة ( ٤/ ٢٧).

[5] تُحيفة زوج أبي عبيدة بن الجراح، لم تَنّسب، كانت مع أبي عبيدة بدمشق، وشهدت وفاته، انظر: تاريخ دمشق (٦٩/ ٧٨).

قال أبو عبيدة: ما بتُّ بأجر، وكان مقبلاً بوجهه على الحائط، فأقبل على القوم بوجهه وقال: أَلَا تسألوني عما قُلت؟ قالوا: ما أعجبنا ما قلت فنسألُك عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق نفقة فاضلةً في سبيل الله فسبعمائة، ومن أنفق على نفسه وأهله أو عاد مريضاً أو أماط أذى، فالحَسنة بعشر أمثالها، والصَوم جنَّة ما لم يَخْرِقْها، ومن ابتلاه الله عز وجل ببلاء في جسده فهو له حطةٌ»[(١)].

وعن أبي مسعود الْأَنْصاريِّ ﷺ قَالَ: جاء رجل بنَاقَة مَخْطُومَة، فقَالَ: هَذه في سَبيل الله، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَكَ بها يوم الْقيامة سبْعمائَة نَاقَة كُلُّها مَخْطُومَةٌ»[(٢)]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ « كُلُّ عَملَ ابن آدمَ يضاَعف، الْحسنَة عشْر أَمْثالها إلَى سَبْعمائَة ضعْف، قَالَ الله عزَّ وجلَّ: إلا الصَّوم، فَإنَّه لي وأَنَا أَجزي به، يدع شهوته وطَعامَه منْ أَجْلي، للصَّائم فَرْحتَان: فَرحةٌ عنْدَ فطْره، وفَرَحةٌ عنْدَ لقَاء ربِّه »[(٣)]. وهذه الأحاديث مَنها ماَ يدلُّ علىَ أنَّ النفقَة تُضاعفَ إلى سَبعمائة ضعفَ، وَأنَّ ذَلك لا يختص بالجهاد، ويفهم من بعضها -إن صحَّ- اختصاص ذلك بالجهاَد. قال ابن القيم رحمه الله : " وهذه الآية كالتفسير والبيان لمقدار الأضعاف التي يضاعفها للمقرض، ومثَّل سبحانه بهذا الْمثل إحضاراً لصورةَ التضعيف في الأذهان بهذه الحبَّة التيَ غيِّبت فيَ الأرض، فأنبتت سبع سنابل، في كل سنبلة مائة حبة، حتى كأن القلب ينظر إلى هذا التضعيف ببصيرته كما تنظر العين إلى هذه السنابل التي من الحبَّة الواحدة، فينضافُ الشاهدُ العياني إلى الشاهد الإيماني القرآني، فيقوى إيمانُ الْمنفق وتسخو نفسه بالإنفاق. وتأمَّل كيف جمع السنبلةَ في هذه الآية على سنابل وهي من مجموع الكثرة، إذ المقام مقام تكثير وتضعيف، وجمعها على سُنبلات في قوله تعالى: ﴿وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ﴾ [سورة يوسف:٤٢]، فجاء بها

(١) أخرجه أحمد في المسند (١٦٩٠)، وحسَّن إسناده شعيب الأرنؤوط، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٢/ ٣٢٢ ): الإسناد في أصله صحيح ، وضعَّفه الألباني في السلسلة الضعيفة برقم (٦٤٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٢).

(٣) أخرجه مسلم (١١٥١).

على جمع القلة؛ لأن السبعة قليلة، ولا مقتضى للتكثير"[١]. وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي :" هذا بيان للمضاعفة التي ذكرها الله في قوله ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾، وهنا قال:﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: في طاعته ومرضاته، وأولاها إنفاقها في الجهاد في سبيله ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾وهذا إحضار لصورة المضاعفة بهذا الْمثل ، الذي كأن العبد يشاهده ببصره فيشاهد هذه المضاعفة ببصيرته، فيقوى شاهد الإيمان مع شاهد العيان، فتنقاد النفس مذعنة للإنفاق سامحة بها مؤملة لهذه الْمضاعفة الجزيلة والمنة الجليلة[٢]. وقال ابن عاشور:" وقوله ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ تشبيهُ حال جزائهم وبركتهم، والصِّلَةُ مؤذنة بأن الْمراد خصوص حال إنفاقهم بتقدير: مثل نفقة الذين. وقد شبَّه حال إعطاء النفقة ومصادفتها موقعها وما أُعطي من الثواب لهم بحال حبة أنبتت سبع سنابل إلخ، أي زرعت في أرض نقيَّة وتراب طيب، وأصابها الغيث فأنبتت سبع سنابل. وحذف ذلك كله إيجازاً لظهور أن الحبة لا تنبت ذلك إلا كذلك، فهو من تشبيه المعقول بالمحسوس، والمشبه به هيأةٌ معلومةٌ، وجعل أصل التمثيل في التضعيف حبة؛ لأن تضعيفها من ذاتها لا بشيء يزاد عليها، وقد شاع تشبيه المعروف بالزرع، وتشبيه الساعي بالزارع، وفي الْمثل «ربَّ سع لقاعد، وزارعٍ غير حاصد»[٣]. ولما كانت الْمضاعفة تُنسب إلى أصل وحدة، فأصل الوحدة هنا هي ما يثيب الله به على الحسنات الصغيرة، أي ما يقع ثواباً على أقل الحسنات، كمن همَّ بحسنة فلم يعملها، فإنه في حسنة الإنفاق في سبيل الله يكون سبعمائة ضعف"[٤]. ومعنى إنباتها

---

[١] طريق الهجرتين وباب السعادتين (١/٣٦٤).

[٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان(ص/١١٢).

[٣] انظر الْمثل في: جمهرة الأمثال (١/ ٤٧٩).

[٤] التحرير والتنوير (٣/٤١).

سبع سنابل: أن تُخرِج ساقاً يتشعب منها سبع شُعب، لكلِ واحدة سنبلةٌ. وهذا التمثيل تصوير للإضعاف، كأنها ماثلةٌ بين عيني الناظر[١].

هل يوجد حبَّة واحدةَ تُنبت سبع سنابل، في كل سنبله مئة حبة ؟ اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال:

القول الأول: قال البغوي: "ذلك متصور، غير مستحيل، وما لا يكون مستحيلاً جاز ضرب الْمثل به وإن لم يوجد"[٢]. القول الثاني: قال صاحب الكشَّاف:" بل هو موجود في الدُّخن والذرة وغيرهما، وربما فَرَّخَت ساقُ البُرَّة في الأراضي القوية الْمغلَّة فيبلُغ حبُّها هذا المبلغ، ولو لمَ يوجدَ لكان صحيحاً على سبيل الفرض والتقدير"[٣].

و قال ابن جرير رحمه الله تعالى:" فإن قال قائل: وهل رأيت سنبلة فيها مائة حبة أو بلغتْك فضرب بها مثل المنفق في سبيل الله مالَه؟. قيل: إن يكن ذلك موجودا فهو ذاك، وإلا فجائز أن يكون معناه: كمثل سنبلة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة، إنْ جعل الله ذلك فيها"[٤]. القول الثالث: يُحتمل أن يكون المعنى: أنها إذا بذرت أنبتت مائة حبة، فيكون ما حدث عن البذر الذي كان منها من المائة الحبة مضافاً إليها، لأنه كان عنها، وبه قال الضَّحَّاك[٥].

قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ﴾:اختلف أهل العلم في المراد بهذه الآية على أقوال: القول الأول: أي: بحسب إخلاصه في عمله، وهو قول الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى[٦].وإلى هذا المعنى يرجع قول بعضهم: والله يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء، لا لكل منفق، بل يختص برحمته من يشاء، وذلك لتفاوت أحوال الإنفاق في نفسه، وفي صفات

---

[١] انظر: الكشاف (٣١٠/١).

[٢] معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣٢٥/١).

[٣] الكشاف(٣١٠/١).

[٤] جامع البيان في تأويل القرآن (٦٥٢/٤).

[٥] انظر: السابق (٥١٥/٥)، معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣٢٥/١).

[٦] انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٣١/١).

الْمنفق وأحواله، وفى شدة الحاجة وعظيم النفع وحسن الموقع[1]. القول الثاني: والله يضاعف هذه المضاعفةَ لمن يشاء [2].

القول الثالث: يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء، ما بين سبع، إلى سبعين، إلى سبعمائة، إلى ما شاء الله من الأضعاف مما لا يعلمه إلا الله[3]، وبنحوه قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي[4] .قال ابن جرير رحمه الله تعالى: "والله يضاعف على السبعمائة إلى ما يشاء من التضعيف لمن يشاء من المنفقين في سبيله"[5].

القول الرابع: أنَّ الْمراد: مضاعفة أجر الأعمال الصالحة –غير الإنفاق– فوق القَدْر الذي حدَّ لها من كون الحسنة بعشر أمثالها، فيزيد الله تعالى من شاء فوق ذلك. وقد ردَّ هذا القول ابن جرير رحمه الله تعالى بكونه "لِم يَجرِ ذكرُ الثواب والتضعيف لغير الْمُنفق في سبيل الله، فيجوز لنا توجيه ما وعدَ تعالى ذكره في هذه الآية من التضعيف، إلى أنه عِدَة منه على العمل في غير سبيله، أو على غير النَّفَقة في سبيل الله"[6].

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ : تنوعت عبارات أهل العلم في تفسير هذا الموضع على النحو التالي:

الأول: أن المعنى: أنه ذو سعة في جميع صفاته؛ فهو واسع العلم، والقدرة، والرحمة، والمغفرة، وغير ذلك من صفاته؛ فإنها صِفاتٌ واسعة عظيمةٌ عُليا؛ و ﴿عَلِيمٌ﴾ أي :ذو علم، وَهو وَاسع فيه، وعلمه شاملٌ لكل شيء جُمْلَةً، وتفصيلاً؛ حاضراً، ومستقبلاً، وماضياً[7]. الثاني: المعنى: أنَ فضله واسع كثير، أكثر من خلقه. ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق

---

[1] انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين (٣٦٤/١).

[2] انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣٢٥/١).

[3] انظر: السابق (٣٢٥/١)، طريق الهجرتين وباب السعادتين (٣٦٤/١).

[4] نظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٢.

[5] جامع البيان في تأويل القرآن (٦٥٣/٤).

[6] جامع البيان في تأويل القرآن (٥١٥/٥-٥١٦).

[7] انظر: تفسير سورة البقرة لابن عثيمين (٣٠٩/٣).

ومن لا يستحق [١]. الثالث: المعنى: أي: غني يعطي عن سعة ﴿عَلِيمٌ﴾ بنية من ينفق ماله[٢]. الرابع: قال ابن جرير:" يعني -تعالى ذكره- بذلك: ﴿وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ، أن يزيد من يشاء من خلقه المتفقين في سبيله على أضعاف السبعمائة التي وعده أن يزيده. ﴿عَلِيمٌ﴾ من يستحق منهم الزيادة "[٣].

الخامس: أنه واسع الفضل، واسع العطاء، لا ينقصه نائل، ولا يُحفيه سائل، فلا يتوهَّم المنفق أن تلك المضاعفة فيها نوع مبالغة؛ لأن الله تعالى لا يتعاظمه شيء، ولا ينقصه العطاء على كثرته، ومع هذا فهو ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق هذه المضاعفة ومن لا يستحقها[٤]. السادس: قال ابن القيم:" ثم ختم الآية باسمين من أسمائه الحسنى مطابقين لسياقها، وهما الواسع والعليم، فلا يستبعد العبد هذه المضاعفة، ولا يضيق عنها عطنه، فإن المضاعف سبحانه واسع العطاء، واسع الغنى، واسع الفضل، ومع ذلك فلا يظن أن سعة عطائه تقتضي حصولها لكل منفق؛ فإنه عليم بمن تصلح له هذه المضاعفة وهو أهل لها، ومن لا يستحقها ولا هو أهل لها، فإن كرمه سبحانه وفضله تعالى لا يناقض حكمته، بل يضع فضله مواضعه لسعته ورحمته، ويمنعه من ليس من أهل بحكمته وعلمه"[٥]. وهذه -كما ترى- متقاربة، ولا منافاة بينها، فيمكن أن يكون ذلك جميعا داخلاً في المعنى، والله أعلم.

## المبحث الثاني : المَثَلُ الثاني

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٣١/١).

[٢] انظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (٣٢٥/١).

[٣] جامع البيان في تأويل القرآن (٥١٦/٥).

[٤] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١١٢/١).

[٥] طريق الهجرتين وباب السعادتين ( ٣٦٤/١-٣٦٥).

﴿وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[سورة البقرة:٢٦٤].

**المطلب الأول : معنى المَثَل (الكُلِّي) باعتباره مُرَكَّبا:** حاصل ما ذكره أهل العلم فيما ضُرِبَ له هذا المَثل يرجع إلى ثلاثة أقوال : القول الأول: أنه تشبيه وتمثيل لحال الكافر المُنفق. قال ابن عاشور :" مَثَّل حال الكافر الذي ينفق ماله رئاء الناس بحال صفوان عليه تراب يُغشِّيه، يعني: يخالُه النَّاظر تربةً كريمة صالحةً للبذر، فتقدير الكلام :عليه تراب صالح للزرع، فحذفت صفة التراب إيجازًا اعتمادا على أن الترابَ الذي يرقب الناس أن يصيبه الوابل هو التراب الذي يبذرون فيه، فإذا زرعه الزارع، وأصابه وابل، وطمع الزارع في زكاء زرعه جرفه الماء من وجه الصفوان فلم يترك منه شيئاً، وبقي مكانه صلْداً أملَس، فخاب أَمل زارعه"[1] . وقال ابن القيم:" وفيه معنى آخر: وهو أن المنفق لغير الله هو في الظاهر عامل عملاً يرتَّب عليه الأجر، ويزكو له كما تزكو الحبة التي إذَا بذرت في التراب الطيب أنبتت"[2].

القول الثاني: أنه تشبيه لقلب المنافق أو المرائي: قال ابن القيم:" فإنه يتضمن تشبيه قلب هذا المُنفق المُرائى الذى لم يصدر إنفاقه عن إيمانه بالله واليوم الآخر بالحجر لشدَّته وصلابته وعدمَ الانتفاع به. وتضمَّن تشبيه ما علق به من أثر الصدقة بالغبار الذى علق بذلك الحجر، والوابل الذى أزال ذلك التراب عن الحجر فأذهبه بالمانع الذى أبطل صدقته وأزالها كما يذهب الوابل التراب الذى على الحجر فيتركه صلْداً، فلا يقدر المُنفق على شيء من ثوابه لبطلانه وزواله"[3].

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي:" فكذلك حالُ هذا المرائي، قلبه غليظٌ قاس بمنزلة الصَّفْوان، وصدقته ونحوها من أعماله بمنزلة التراب الذي على الصَّفْوان، إذا رآه الجاهلُ بحاله

---

[1] التحرير والتنوير (٣/٤٨).

[2] طريق الهجرتين وباب السعادتين (١/٣٦٨).

[3] السابق.

ظن أنه أرض زكية قابلة للنبات، فإذا انكشفت حقيقة حاله زال ذلك التراب وتبين أن عمله بمنزلة السَّراب، وأن قلبه غير صالح لنبات الزرع وزكائه عليه، بل الرياء الذي فيه والإرادات الخبيثة تمنع من انتفاعه بشيء من عمله؛ فلهذا ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ من أعمالهم التي اكتسبوها؛ لأنهم وضعوها في غير موضعها وجعلوها لمخلوق مثلهم، لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً، وانصرفوا عن عبادة من تنفعهم عبادته، فصرف الله قلوبهم عن الهداية؛ فلهذا قال: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ "[1] . وهذا القول قريب في المعنى من الذي قبله.

القول الثالث: أنه تمثيل لنفقة الكافر. ويحتمل أن يكون تمثيلاً لنفقة الكافر بالتراب الذي على الصفوان.

ووجه الشبه : سرعة الزوال وعدم القرار . كقوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾[ابرهيم : ١٨]. قال ابن كثير:" وكذلك أعمالُ المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب؛ ولهذا قال: ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ "[2].

وقال ابن جرير:" ثم رجع تعالى ذكْره إلى ذكر المنافقين الذين ضرب الْمثل لأعمالهم، فقال: فكذلك أعمالهم بمنزلة الصَّفوان الذي كان عليه تراب، فأصابه الوابل من المطر، فذهب بما عليه من التراب، فتركه نَقِيًّا لا تراب عليه ولا شيء ، يراهم المسلمون في الظاهر أنّ لهم أعمالاً كما يرى التراب على هذا الصَّفْوان بما يراؤونهم به، فإذا كان يوم القيامة وصاروا إلى الله، اضمحل ذلك كله؛ لأنه لم يكن لله"[3]. وبين هذه المعاني ملازمة لا تخفى،

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/١١٣).

[2] تفسير القرآن العظيم (١/٥٣٣).

[3] جامع البيان في تأويل القرآن (٥/٥٢٥).

وذلك للملازمة بين العامل وعمله، فمن عمل بلا قصد صحيحٍ فإنَّ عمله يضمحل، ويكون كما وصف الله تعالى في هذه الآية.

**المطلب الثاني :معنى الْمَثَل باعتباره مُفَرَّقاً، وتفسير أجزائه**: قوله تعالى:﴿ صَفْوَانٍ ﴾ الصَّفْوان: جمع صفوانة، كما يذكر القرطبي والحافظ ابن كثير، وبعضهم يقول: جمع صفوة ، وقال بعضهم: يستعمل مفْرداً، وقال آخرون: ويستعمل للجمع أيضاً، وهو الصَّفا ، وهو الحجر الأملَس الشَّديد[١].

قوله تعالى:﴿ وَابِلٌ ﴾ الوابل: هو المطر الشديد[٢]. قوله تعالى:﴿ صَلْدًا ﴾ قال ابن جرير:" و"الصَّلْد" من الحجارة: الصلب الذي لا شيء عليه من نبات ولا غيره"[٣]. وقال ابن كثير:" أي :أملس يابسا، أي: لا شيء عليه من ذلك التراب"[٤].

قوله تعالى:﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ عبَّر بصيغة الجمع ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ ﴾ وذلك أن الاسم الموصول في قوله تبارك وتعالى: ﴿ كَٱلَّذِى يُنفِقُ ﴾ يصدق على الواحد والجماعة فهو من صيغ العموم، فلَفْظُه لَفْظُ الْمفْرد ومعناه العموم؛ ولهذا قال: ﴿ لَّا يَقْدِرُونَ ﴾. والمقصود بهؤلاء كما يقول القرطبي رحمه الله: "الْمرائي والكافر والمانُّ" [٥].

قوله تعالى:﴿ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ﴾ قال القرطبي:" أي على الانتفاع بثواب شي من إنْفَاقهم، وهو كَسبهم عند حاجتهم إليه، إذ كان لغير الله، فَعبَّر عن النفقة بالكَسب؛ لأنهم قَصدَوا بها الكَسب"[٦].

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٣٣/١)، الجامع لأحكام القرآن (٣١٢/٣).

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم (٥٣٣/١) ، تيسير الكريم الرحمن (٩٥٧/١).

[٣] جامع البيان في تأويل القرآن (٥٢٤/٥).

[٤] تفسير القرآن العظيم (٥٣٣/١).

[٥] الجامع لأحكام القرآن (٣١٣/٣).

[٦] السابق (٣١٣/٣).

قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ قال ابن جرير: " لا يسدِّدهم لإصابة الحق في نفقاتهم وغيرها، فيوفقهم لها، وهم للباطل عليها مؤثرون، ولكنه يتركهم في ضلالتهم يعمهون "[1].

المبحث الثالث : الْمثل الثالث : قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾[البقرة: ٢٦٥].

**المطلب الأول: معنى الْمَثَل (الْكُلِّي) باعتباره مُرَكَّباً**: قال ابن القيم رحمه الله تعالى:" هذا مثل الذى مصدر نفقته على الإخلاص والصِّدق، فإنَّ ابتغاء مرضاته سبحانه هو الإخلاص. والتثبيت من النفس هو: الصِّدْقَ في البذْل، فإن الْمُنفِق يعترضه عند إنفاقه آفتان إن نَجَا منهما كان مثلُه ما ذَكَره في هذه الآية: إحداهما: طلبه بنَفقته مَحمدةً أو ثناء أو غَرضاً من أغراضه الدنيوية، وهذا حالُ أكثر الْمنفِقين. والآفَة الثانية: ضعف نفسه بالبذل وتَقاعسها وترددها، هل يفعل أم لا؟

فالآفَة الأُولى تزول بابتغاء مَرضَاة الله. والآفة الثانية تزول بالتثبيت؛ فإن تثبيت النفس: تشجيعها وتقويتها والإقدام بهَا على البذل، وهذا هو صدقُها، وطَلَب مرضاة الله: إرادةُ وجهه وحده، وهذا إخلاصها. فإذا كان مصدر الإنفاق عَن ذلك كان مثلُه كجنة، وهى البستانُ الكثير الأشجار، فهو مجتن بها أي: مستتر ليس قَاعاً فَارغاً. والجنة بربوة: وهو المكان الْمرتَفِع؛ لأنها أكمل من الجنَّة التي بالوهَاد والحضيض؛ لأَنها إذا ارتفعت كانت بمدْرجة الأهوية والرياح، وكانت ضاحية للشمس وَقت طلوعها واستوائها وغروبها، فكانت أنضج ثمراً وأطيبه وأحسنه وأكثره، فإن الثمار تزدادُ طيباً وكَاء بالرياح والشمس، بخلاف الثمار التي تنشأُ في الظِّلَال، وإذا كانت الجنَّة بمكَانَ مرتفع لم يُخْش عليها إلا من قِلَّة

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن (٥/٥٢٦).

الشُّرب، فقال تعالى: ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ ، وهو المطر الشديد العظيم القَدْر فَأَدَّت ثمرتها، وأعطت بركتها، فأخرجت ثمرتها ضِعفي ما يثمر غيرها، أو ضِعفي ما كانت تثمر بسبب ذلك الوابل، فهذا حال السابقين الْمقَرَّبين: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، فهو دون الوابل، فهو يكفيها لِكَرم منبتها وطيب مغرسها، فتكتفي في إخراج بركتها بالطَّلِّ.

وهذا حالُ الأبرار الْمقتَصدِين في النَّفَقَة، وهم درجات عند الله. فأصحاب الوابل أعلاهم درجة، وهم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية، ويؤثِرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. وأصحاب الطَّل مقتَصِدوهم.

فَمثَّل حالَ القسمين وأعمالَهم بالجنَّة على الرَّبوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطَّلِّ، وكما أن كل واحد من الْمطَرين يوجب زكَاء ثمر الجنة ونحوه بالأضعاف، فكذلك نفقتُهم كثيرةً أو قليلة بعد أن صدرت عن ابتغاء مرضاة الله والتثبيت من نفوسهم، فهي زاكية عند الله، نامية مضاعفة"[١].

## المطلب الثاني : العلاقة بين هذا الْمثَل والذي قبله في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾

: قال ابن عاشور رحمه الله تعالى: "عطَف مثَل الذين ينفقُونَ أموالهم في مرضاة الله على مثَلِ الذي ينفقُ مالَه رِئاء الناسِ، لزيادة بيان ما بين المرتبتيَن منِ البون وتأكيداً للثناء على الْمنفقِينَ بإخلاص"[٢].

فالْمثَل الأول: هو الصَّفْوانَ الذي لا يؤثِّر فيه المطر، ولا يربو ولاَ ينمو، وأما الرَّبوة فتنمو. ولما وصف صاحب النفقة بوصفين قابل ذلك هنا بوصفين: ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ مقابل ﴿رِئَاءَ النَّاسِ﴾ . ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ مقابل ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ .

---

[١] طريق الهجرتين وباب السعادتين (١/٣٦٩).

[٢] التحرير والتنوير (٣/٥٠).

**المطلب الثالث : وَجْه الشَّبه بين النَّفقة والجنة التي بِرَبْوَة**: قال ابن عاشور: " ووجه الشَّبه هو الهيئةُ الحاصلةُ من مجموع أشياء تَكامَل بها تَضعِيف الْمنفعة، فالهيئة الْمشبَّهة هي النَّفَقَةَ التي حفَّ بها طَلب رضى الله، والتصديق بوعده، فضُوعفت أضعافاً كثيرة، أو دونها في الكثرة. والهيئة الْمشبَّهة بها هي هيئة الجنَّة الطيبة المكانَ التي جاءها التَّهتانُ[(١)]، فزكا ثمرها وتزايد فأكملت الثمرة، أو أصابها طَلٌّ فكانت دون ذلك"[(٢)].

ووجه الارتباط والتشبيه في قوله تبارك وتعالى:﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ كالتشبيه في قوله عزَّ وجل في الْمثل الأول في الإنفاق:﴿ ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ . والتقديران اللذان مضيا في قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ جاريان هنا، وهما:

١-أي : مثل الْمنفقين كمثل غَارس حبَّة. ٢- أي: مثَل نفقة الذين يُنفقون في سبيل الله كحبَّة.

## المطلب الرابع: معنى الْمَثَل باعتباره مُفَرَّقا، وتفسيرِ أجزائه:

قوله تعالى:﴿ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ أي: طلباً للأجر والثواب، واحتساباً لذلك عند الله تبارك وتعالى.

قوله تعالى:﴿وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ قال ابن عاشور: "التثبيت : هو تحقيق الشيء وترسيخه"[(٣)].

والتثبيت في هذه الآية يَحتملُ عدةَ معان : المعنى الأول : أي : يكْبح النفس عن التَّشكك والتَّردُّد في الإنفاق في وَجوه الَبر، ولا يترك مجالاً لِخَواطر الشُّحِ، وهذا من قولهم: (ثَبَّت قدمه) أي: لم يتردد ولم ينكُص، فإن إراضة النفسِ علىَ فعلِ ما يشقُّ عليها لها أثر في

---

(١) التَّهتانَ: مطر ساعة ثمَّ يفْتر ثمَّ يعود، انظر: لسان العرب (١٣/ ٤٣١)، مادة: (هتن).

(٢) التحرير والتنوير (٣/٥٢).

(٣) التحرير والتنوير (٣/٥١).

رسوخ الأعمال حتى تعتاد الفضائل وتصير لها ديدنا. وإنفاقُ المال من أعظم ما ترسخ به الطاعةُ في النفس؛ لأن المال ليس أمراً هيناً على النفس، وتكونَ (من) على هذا الوجه للتبعيض، لكنه تبعيض مجازي باعتبار الأحوال، أي تثبيتا لبعض أحوال النفس"[1]. وهو بمعنى قول الرازي : " إ ن النفس لا ثبات لها في موقف العبودية، إلا إذا صارت مقْهورة بالْمجاهدة. ومعشَوقُها أمران: الحياةُ العاجلةُ والمالُ، فإذا كُلفت بإنفاق المال فقد صارت مقهورة من بعض الوجوه، وإذا كُلِّفت ببذل الروح فقد صارتَ مقهورة من بعض الوجوه. فلا جرم حصل بعض التثبيت؛ فلهذا دخل فيه ( من ) التي هي التبعيض، والمعنى أن من بذل مالَه لوجه الله فقد ثَبَّتَ بعضَ نفسه، ومَن بذل مالَه وروحه معاً فهو الذي ثَبَّتها كُلَّها"[2]. وقال: " ثبات القلب لا يَحصل إلا بذكْر الله على ما قال سبحانه: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ فمن أنفق مالَه في سبيل الله لم يحصل له اطمئنان القلب، إلا إذا كان إنفاقُه لمحْض غَرض العبودية، فإذا كان إنفاقُ العبد لأجل عبودية الحق؛ لا لأجل غرض النفس وطَلَب الحظ؛ فهناك اطمأن قلبه، واستقرت نفسَه، ولم يحصل لنفسه منازعةٌ مع قلبه؛ ولهذا قال أولا في هذا الإنفاق: إنه لطلب مرضاة الله، ثم أتبع ذلك بقوله ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ . وقد ثبت في العلوم العقلية: أن تَكرير الأفعال سَبَبٌ لحُصُول الْملَكَات. إذا عرفْت هذا فنقول: إنَّ من يواظب على الإنفاق مرة بعد أُخرىَ لابتغاء مَرضاَة الله حصَل له من تلك المواظبة أمران: أحدهما: حصولُ هذا المعنى.

والثاني: صيرورةُ هذا الابتغاء والطلب مَلَكَة مستقرَّة في النفس، حتى يصير القلب بحيث لو صدر عنه فعل على سبيل الغفْلَة والاتفاق رجع القلب في الحال إلى جَناب الْقُدْس؛ وذلك بسبب أن تلك العبادة صارت كالعادة والخُلق للروح، فإتيان العبد بالطَاعة لله، ولابتغاء مرضاة الله، يفيد هذه الْملَكَة الْمستقرَّة، التيَ وقع التعبير عنها في القرآن بتثبيت

---

[1] السابق (٣/٥١).

[2] مفاتيح الغيب (٧/ ٤٨ ).

النفس"[١]. وهنا يأتي معني تربوي :وهو أن " أَنَّ تكَرُّر الأفعال هو الذي يوجب حصولَ الْمَلَكَة الْفَاضلَة في النَّفس، بحيث تَنساق عقب حُصولها إلى الكَمالَات باختيارها، وبلا كُلْفَة ولَا ضَجَرٍ "[٢]. المعنى الثاني: أي: تصديقًا لوعد الله، وأنه لا يضيع عَملَهم ولا يُخَيِّبُ رجاءهم، بخلاف حال المنافقين، فإن امتثالَ الأحكام الشاقَّة لا يكون إلا عن تصديق للآمر بها، واليقين بوعد الله[٣]. وإلى هذا ذهب أكثرَ أهل العلم من السلف فمن بعدهم، كالشَّعبي[٤]والسُّدي[٥] وقتادة[٦] وأبو صالح[٧]، واختاره ابن جرير[٨]،والزَّجَّاج[٩]، وابن كثير[١٠]،وشيخ الإسلام ابن تيمية[١١].

قال قتادة: ﴿وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: احتساباً من أنفسهم[١٢]. وقال: الشَّعبي: يقيناً وتصديقاً من أنفسهم[١٣]. وقال ابن كثير: وهم متحقِّقون متثبِّتون أنَّ الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء"[١٤] . ولا يخفى أن بين هذا المعنى والذي قبله ملازمة؛ وذلك أن اليقين بوعد الله تعالى بالجزاء هو السبيل إلى ثبات النفس عند النَّفقة، فلا تتضعضع، ولا

---

[١] السابق (٤٨/٧-٤٩) بتصرف.

[٢] ما بين الأقواس من كلام ابن عاشور في التحرير والتنوير (٥٢/٣)، و انظر: مفاتيح الغيب(١٨/١٣) .

[٣] انظر: التحرير والتنوير(٥١/٣).

[٤] انظر: جامع البيان (٦٦٨/٤).

[٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥٢٠/٢).

[٦] انظر: جامع البيان (٦٦٩/٤).

[٧] انظر: السابق، وأبو صالح: هو باذام، ويقال: باذان، مولى أم هانئ، اشتهر برواية التفسير، لم تَذكُر المصادر سنة وفاته. انظر: سير أعلام النبلاء (٣٧/٥).

[٨] انظر: السابق (٦٧١/٤).

[٩] انظر: معاني القرآن (٣٤٧/١).

[١٠] انظر: تفسير القرآن العظيم (٦٩٥/١).

[١١] انظر: مجموع الفتاوى (٩٤/١٤).

[١٢] انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٥٢٠/٢).

[١٣] انظر: السابق.

[١٤] تفسير القرآن العظيم (٦٩٥/١).

تضطرب أو تتراجع؛ ولهذا قال أبو حيان: " المراد بالتثبيت: توطين النفس على المحافظة عليه، وترك ما يفسده، ولا يكون إلا عن يقين بالآخرة[١]. المعنى الثالث: أي: يتثبَّتون أين يضعون صَدقاتهم ، فيضعونها في أهل الصِّدْق والعفاف ، وهو قول الحسن ومجاهد قال الواحدي: وإنما جاز أن يكون التَّثْبيت، بمعنى التَّثبُّت؛ لأنهم ثَبَّتوا أنفسهم في طلب المُستحق، وصرف المال في وجهه[٣]. المعنى الرابع: أي: يوطِّنون أنفُسهم على حِفْظ هذه الطاعة، وترك ما يُفسدها، ومن جملة ذلك: ترك إتْباعها بالْمنِّ والأذى، وهو قول مَحْكي عن بعض المتكلمَين[٤].

قال الحسن: " كَانَ الرَّجل إِذَا همَّ بِصَدَقَة تَثَبَّت، فَإِنْ كَانَ لله مضى، وَإِنْ خالَطَه شَكٌّ أَمسك "[٥].

المعنى الخامس: أي: تَثْبيتا من أنفسهم عند المؤمنين، أنها صادقة في الإيمان مُخْلِصةٌ فيه ، وهو قول حكاه الرازي ولم ينْسبه[٦]. والعلماء الذين ذكروا هذا أرادوا معنى ذكره الشاطبي رحمه الله تعالى ، وهو أن الإنسَان قد يحتاج إلى ملاحظة أمر يشكُه في النية والقصد في العبادة، فيكون ذلك صحيحاً، مثل حضور الجمع والجماعات لإثبات عدالته، ولقبول شهادته، فهو لا يقصد هذا بالقصد الأول، بل يريد ما عند الله، وهذا أمر يحصل على سبيل التَّبع، فالتَّشْريك بالنية في أمر كهذا لا إشكال فيه[٧].

قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ﴾: قوله تعالى: ﴿جَنَّةٍۭ﴾ "والجنة: هي مكان من الأرض ذو شجر كثير بحيث يجُنُّ: أي يستر الكائن فيه، فاسمها مشتق من جنَّ إذا ستر ، وأكثر ما تطلق الجنة في كلامهم على ذات الشجر الْمثْمر الْمختلف الأصناف، فأما

---

[١] البحر المحيط في التفسير (٢/٦٦٥).

[٢] انظر:تفسير ابن أبي حاتم (٢/٥٢٠).

[٣] البسيط (٤/٤١٦).

[٤] انظر: النكت والعيون (١/٣٤٠)، مفاتيح الغيب (٧/٤٨).

[٥] جامع البيان (٤/٦٧٠).

[٦] انظر: مفاتيح الغيب (٧/٤٨).

[٧] انظر: الموافقات (٣/ ١٤٦).

ما كان مغروساً نخيلاً بحتاً فإنما يسمى حائطاً"[١]. ﴿بِرَبْوَةٍ﴾ الْمراد بالرَّبوة: المكان الْمرتفع من الأرض دون الجبل، وهو قول الجمهور[٢]، وزاد الضَّحَّاك:" تجري فيها الأنهار"[٣]، وما قاله الضَّحَّاك لم يذكر في القرآن، وكأنه قاله تتميماً وتكميلاً لبيان حال هذه الربوة؛ لأن المكان المرتفع عن الأرض مظنَّة لقلة المياه، وقد ذَكَر الله تبارك وتعالى أنه أصابها وابل، فالمطر يكفيها عن جري الأنهار. قال ابن عاشور:" وتخصيص الجَنَّة بأنها في ربوة لأَنَّ أَشجار الرُّبَى تكون أَحسن منظَرا وأَزْكَى ثَمَرا" [٤].

قوله تعالى:﴿وَابِلٌ﴾ الوابل: هو المطر الغزير الكثير [٥]. قوله تعالى: ﴿أُكُلَهَا﴾ والأُكُل هو: ما يؤكَل، ويقال غالباً في عرف الاستعمال على ثمار الشجر، والله تبارك وتعالى قال في قصة سبأ: ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ﴾ [سورة سبأ:١٦] وكذلك في قوله تبارك وتعالى: ﴿تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[ابراهيم:٢٥] [٦].

قوله تعالى: ﴿ضِعْفَيْنِ﴾ : اختلف أهل العلم في معناها على أقوال: القول الأول: ضِعفين أي: مثلَين؛ لأن ضِعف الشيء : مِثْلَه زائداً عليه، وضِعفاه: مثلاه زائداً عليه، وهو قول الجمهور[٧]، وبه قال الزَّجَّاج[٨].

القول الثاني: ضِعفين أي: بالنسبة إلى غيرها من الجنان، وهو قول ابن كثير[٩]. وهذا معنى قول من قال: حَمَلَت في سنة من الرَّيع ما يحمِل غيرها في سنتين، وبه قال عطاء [١].

---

[١] التحرير والتنوير(٣/٥٢).

[٢] انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٥٣٤)، التحرير والتنوير(٣/٥٢).

[٣] انظر: جامع البيان (٤/٦٧٤).

[٤] التحرير والتنوير(٣/٥٢).

[٥] انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٦٩٥).

[٦] انظر: التحرير والتنوير ( ٣/٥٣).

[٧] انظر: تفسير الماوردي (١/٣٤٠) ، مفاتيح الغيب (٧/٥٠).

[٨] انظر: معاني القرآن (١/٣٤٨).

[٩] انظر: تفسير القرآن العظيم (١/٥٣٤).

القول الثالث: ضعفين أي : مثلي ما كان يعهد منها، وهو قول أبي مسلم[٢]. ولعله يرجع إلى القول الذي قبله. وقال الحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى: "واختُلف في الضِّعفين، فقيل: ضعفا الشيء مثلاه زائداً عليه، وضعفه مثله، وقيل: ضعفه مثلاه وضعفاه ثلاثة أمثاله، وثلاثة أضعافه أربعة أمثاله كلما زاد ضعفاً زاد مثلاً. والذي حمل هذا القائل على ذلك فراره من استواء دلالة المفرد والتثنية، فإنه رأى ضعف الشيء هو مثله الزائد عليه، فإذا ضم إلى المثل صار مثلين، وهما الضعف، فلو قيل: (لها ضعفان) لم يكن فرق بين المفرد والمثنى، فالضِّعفان عنده مثلان مضافان إلى الأصل، ويلزم من هذا أن يكون ثلاثة أضعافه: أمثالٌ مضافة إلى الأصل، هكذا أبداً . والصواب أن الضِّعفين: هي المثلان فقط: الأصل ومثله. وعليه يدل قوله تعالى: ﴿ فَكَانَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ أي: مثلين، وقوله تعالى: ﴿ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ أي: مثلين؛ ولهذا قال في الحسنات: ﴿ نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ ﴾، وأما ما توهَّموه من استواء دلالة المفرد والتثنية فوهم منشؤه ظنُّ أن الضِّعف هو المثل مع الأصل، وليس كذلك، بل المثل له اعتباران: إن اعتبر وحده فهو ضعف، وإن اعتبر مع نظيره فهما ضعفان، والله أعلم"[٣]. قوله تعالى: ﴿ فَطَلٌّ ﴾:اختلف أهل العلم في المراد بالطَّلِّ على أقوالَ: القول الأول: أنَّ الطَّل هو: المطر القليل[٤]، والمعنى: إن لم يصبها مطر غزير كفاها مطر قليل فآتت أكلها دون الضِّعفين، وبه قال قتادة[٥]. القول الثاني: أنّ الطَّل هو: الرَّذاذ من المطر، يعني اللَّيِّن منه، وبه قال الضَّحَّاك[٦]. القول

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب (٧/٥٠).

[٢] السابق، وأبو مسلم هو: محمد بن علي الأصفهاني، المفسِّر، صنَّف في التفسير كتابا، توفي سنة (٤٥٩هـ) رحمه الله تعالى. انظر: طبقات المفسرين (١/١٢٣).

[٣] طريق الهجرتين وباب السعادتين (١/٣٧٠).

[٤] انظر: معالم التنزيل (١/ ٣٢٨).

[٥] انظر: جامع البيان (٤/ ٦٧٧).

[٦] انظر: جامع البيان (٤/٦٧٧).

الثالث: أنَّ الطَّل هو: الندى ، وهو دون المطر ، والعرب تقول: الطَّل أحد الْمطَرين، وزرع الطَّل أضعف من زرعِ المطر وأقل ريعاً، وبه قال السُّدِّي [١]. وهو قريب من القول الذي قبله.

قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾: اختلف أهل العلم في معنى قوله تعالى ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ﴾ على أقوال: القول الأول: المعنى : أن الإنفاق لابتغاء مرضاة الله له ثواب عظيم، وهو مع ذلك متفاوت على تفاوت مِقْدار الإخلاص في الابتغاء والتثبيت كما تتفاوت أحوالُ الجَنَّات الزكيَّة في مِقْدار زكائها، ولكنها لا تُخيِّب صاحبها[٢].

القول الثاني: المعنى أن هذه الجنة إن لم يصبها وابل فيصيبها مطَر دون الوابل، إلا أنَّ ثمرتها باقية بحالها على التقديرين، لا ينقص بسبب انتقاص المطر؛ وذلك بسبب كرم الْمنبت[٣]. وقال الماوردي: " فأراد بهذا ضرب الْمثل أن كثير البر مثل زرع المطر كثير النفع ، وقليل البر مثل زرع الطَّلِّ قليل النفع ، ولا تدع قليل البر إذا لم تفعل كثيره ، كما لا تدع زرع الطَّلِ إذا لم تقدر على زرع المطر"[٤]. وقال ابن كثير رحمه الله:" أي: هذه الجنة بهذه الربوة لا تَمْحل أبداً؛ لأنها إن لم يصبها وابل فطَلٌّ، وأياً ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً، بل يتقبله الله ويكثره وينمِّيه، كُلٌّ عامل بحسبه؛ ولهذا قال ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ أي: لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء"[٥].

قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾: قال الإمام ابن جرير رحمه الله تعالى: " يعني بذلك: والله بما تعملون أيها الناس في نفقاتكم التي تنفقونها بصير، لا يخفى عليه منها ولا من أعمالكم فيها وفي غيرها شيء، يعلم من الْمنفِق منكم بالْمنِّ والأذى والْمنفِق ابتغاء

---

[١] انظر: تفسير الماوردي (١/٣٤٠).

[٢] انظر: التحرير والتنوير (٣/ ٥٣).

[٣] انظر: مفاتيح الغيب (٧/٥٠).

[٤] تفسير الماوردي (١/٣٤٠).

[٥] تفسير القرآن العظيم (١/٥٣٤).

مرضاة الله، وتثبيتا من نفسه، فيحصي عليكم حتى يجازي جميعكم جزاءه على عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر"[١]. ولازم بصره سبحانه وتعالى أنه عالم بكيفيات النفقة، وبهذا اللازم فسَّرها الرازي، فقال: "أي: هو تعالى عالم بكمية النفقات وكيفيتها، والأمور الباعثة عليها، وأنه تعالى مجازٍ بها إن خيراً فخير وإن شراً فشرا"[٢].

المبحث الرابع : الْمثل الرابع

قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ ﴾[البقرة:٢٦٦].

**المطلب الأول : معنى الْمَثَل ( الْكُلِّي) باعتباره مُرَكَّبا**: هذا هو الْمثل الرابع من الأمثال التي ضربها الله تبارك وتعالى في سورة البقرة، في باب النفقات. فإن الْمثل الأول مضروب في الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ﴾ [البقرة:٢٦١]، وذلك في التضعيف في النفقات التي ينفقها أصحابها في سبيل الله تبارك وتعالى. والْمثل الثاني؛ وهو في أصحاب المقاصد السيئة الذين يراؤون بنفقاتهم، أو يتبعون تلك النفقات ما يفسدها ويبطلها من المنِّ والأذى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ ﴾ [البقرة:

---

[١] جامع البيان (٤/ ٦٧٩).

[٢] مفاتيح الغيب (٧/٥٠).

٢٦٤]. والْمثل الثالث؛ وهو عكس هذا؛ في أولئك الذين ينفقون أموالهم طيبة بها نفوسهم، يبتغون بها ما عند الله تبارك وتعالى، فمثل ذلك: ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[البقرة:٢٦٥]أي: يكفيها. وهذا هو الْمثل الرابع.

**وَجْه الشَّبَه في الْمَثَل**: وجه الشَّبه بين حال هذا الإنسان الذي عنده الجنة التي وصف الله تعالى ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ وبين المضروب له الْمثل، وهو من تتلاشى حسناته مع حاجته: هو حصول الخيبة واليأس في وقت تمام الرجاء وإشراف الإنتاج[١]، فهذا الإنسان يعمل أعمالاً طيبة صالحة، فلما كان أحوج ما يكون إلى ثوابها وحسناتها ذهبت وتلاشت و اضمحلت. وقد اختلف المفسرون فيما ضرب له الْمثل على أقوال:

القول الأول: أنَّه يصوِّر صاحب الرياء في النفقة والعمل حين ينقطع عنه نفعها أحوج ما يكون إليها، و به قال السدي[٢]، واختاره ابن جرير [٣]، وصاحب التحرير والتنوير[٤]، وإليه ذهب البغوي[٥]، فجعله مثلاً لعمل الْمنافق أو الْمرائي: يبطُل، فإذا جاء يوم القيامة لم يجد شيئاً من هذه الأعمال التي كان يرائي فيها، فالعمل في ظاهره وصورته في الحسن مثل تلك الجنة التي فيها من كل الثمرات، فهي نفقات وبذْلٌ وحسنات وأعمال طيبة في الظاهر؛ ولكن لما كانت المقاصد فاسدة أبطلت تلك الأعمال، فكان ذلك كالإعصار الذي أحرق تلك الجنة، فهو لا ينتفع بحسناته أو بأعماله الصالحة في الظاهر كما لا ينتفع صاحب تلك الجنة التي أصابها الإعصار الذي فيه النار، نسأل الله تبارك وتعالى العافية. قال ابن جرير

---

[١] انظر: التحرير والتنوير (٣/٥٣).

[٢] انظر: جامع البيان (٥/٥٤٤)، وقد قال ابن جرير رحمه الله تعالى عن بيان السدي لمعنى الآية الكريمة: " وأحسنهم إبانة لمعناها وأقربهم إلى الصواب قولا فيها: السدي".

[٣] انظر: جامع البيان (٥/٥٤٣).

[٤] انظر: التحرير والتنوير (٣/٥٣).

[٥] انظر: معالم التنزيل (١/ ٣٢٩).

رحمه الله: "إنما جعل جلَّ ثناؤه البستان من النخيل والأعناب الذي قال جل ثناؤه لعباده المؤمنين﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ ﴾ مثلاً لنفقة المنافق التي ينفقها رئاء الناس، لا ابتغاء مرضات الله، فالناس -بما يظهر لهم من صدقيه، و إعطائه لما يعطي وعمله الظاهر- يثنون عليه ويحمدونه بعمله ذلك أيام حياته، في حسيه كحسن البستان، وهي: الجنة التي ضربها الله عز وجل لعمله مثلاً من نخيل وأعناب، له فيها من كل الثمرات؛ لأن عمله ذلك الذي يعمله في الظاهر في الدنيا، له فيه من كل خير من عاجل الدنيا، يدفع به عن نفسه ودمه وماله وذُرِّيته، ويكتسب به المحمدة وحسن الثناء عند الناس، ويأخذ به سهمه من المغنم، مع أشياء كثيرة يكثر إحصاؤها، فله في ذلك من كل خير في الدنيا"[1]. القول الثاني: أنَّ هذا المثل مضروب للمفرِّطين في طاعة الله تبارك وتعالى، المضيعين، فالله عز وجل قد أعطى كل واحد رأس مال، وهو: هذه الأنفاس التي تخرج ولا تعود، وأمره أن يتَّجر بها ويستغلَّ اللحظات والدقائق والثواني والأيام إلى أن يوافيه الأجل، كما قال النبي ﷺ "كل الناس يغدو فمعيق نفسه أو موبقها"[2].

فيرد الجميع يوم القيامة؛ هذا جدَّ واجتهد في المعصية، وبذل أوقاته فيها، وآخر بذل جهده وذكاءه وعقله وطاقاته وإمكاناته في إضلال الناس، وآخر جدَّ واجتهد في طاعة الله تبارك وتعالى، فتفتح صناديق الأعمال، وعندئذ يجد المفرِّطُ غبَّ تفريطه ويندم حيث لا ينفعه الندم، فهو لا يحصل إلا على الحسرة في الآخرة ، كما يقول مجاهد:" هذا مثل للمفرِّط في طاعة الله، المشتغل بملاذِّ الدنيا، يحصل في الآخرة على الحسرة العظمى"[3]. القول الثالث: أنَّه مثل للذي يختم عمله بفساد، حيث كان على هدى وطريق مستقيم وأعمال طيبة وإقبال على الله، ثم بعد ذلك انحرف، نسأل الله العافية.

---

[1] جامع البيان (٥/٥٤٢).

[2] رواه مسلم (٢٢٣).

[3] انظر: البسيط للواحدي (٤/٤٢٠)، وأصله عند ابن جرير في جامع البيان (٤/٦٨٢) مع اختلاف العبارة.

وهذا القول هو الذي عليه أكثر أهل العلم، و به قال ابن عباس رضي الله عنهما[١]، واختاره ابن القيم[٢]، والحافظ ابن كثير[٣]. وقد جاء في الصحيح عن عمر ﷺ لما سأل أصحاب النبي ﷺ عن هذا الْمثل، وفيه أن ابن عباس رضي الله عنهما قال: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين ! فقال عمر: يا بن أخي قل ولا تحقر نفسك! فقال: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال: لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله"[٤]. وقد قال ابن كثير رحمه الله تعالى تعقيبا على هذا الأثر: "هذا وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية، وتبيين ما فيها من الْمثل بعمل من أحسن العمل أولاً ثم بعد ذلك انعكس سيره، فَبدَّلَ الحسنات بالسيئات، – عياذاً بالله من ذلك– فأبطل بعمله الثاني ما أَسلَفَه فيما تقدم من الصالح، واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال فلم يحصل منه شيء، وخانه أحوج ما كان إليه"[٥]. وقال ابن القيم رحمه الله: "لو فكر العاقل في هذا الْمثل، وجعله قبلَة قَلْبه لكفاه وشفاه، فهكذا العبد إذا عمل بطاعة الله ثم تبعها بما يبطلها ويفرِّقها من معاصي الله كانت كالإعصار ذي النار الْمحرق للجنَّة التي غرسها بطاعته وعمله الصالح... فلو تصوَّر العامل بمعصية الله بعد طاعته هذا المعنى حق تصوُّره، وتأمَّله كما ينبغي لما سوَّلت له نفسه –والله– إحراق أعماله الصالحة وإضاعتها، ولكن لا بد أن يغيب عنه علْمه عند المعصية؛ ولهذا استحق اسم الجهل، فكان كل من عصى الله فهو جاهل ... وتأمل كيف ضرب سبحانه الْمثل للمنفق الْمرائي الذي لم يصدر أنفاقه عن الإيمان بالصَّفْوان الذي عليه التراب، فإنه لم ينبت شيئاً أصلاً، بل ذهب بذره ضائعاً لعدم إيمانه وإخلاصه. ثم ضرب الْمثل لمن عمل بطاعة الله مخلصاً بنيته لله ثم عرض له ما أبطل ثوابه بالجنة التي هي من أحسن الجنان وأطيبها و أزهرها، ثم سلط عليها الإعصار

---

[١] انظر: جامع البيان (٤/٦٨٤).

[٢] انظر: طريق الهجرتين (ص ٣٧٢)، مدارج السالكين (١/ ٢٥٦).

[٣] انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٩٦).

[٤] صحيح البخاري برقم ( ٤٥٣٨).

[٥] تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٩٦).

الناري فأحرقها، فإنَّ هذا نبت له شيء وأثمر له عمل ثم احترق، والأول لم يحصل له شيء يدركه الحريق"[١]. ففي هذا الْمثل تنبيه على قبح الأعمال السيئة التي تُحبط ثواب الحسنات، فشبَّهها بشيخ كبير له ذرية ضعفاء، يخشى عليهم الضَّيعة وعلى نفسه، له بستان هو مادة عيشه، ما فيه مؤنة كثيرة، تجري من تحته الأنهار، لا يحتاج سقْياً ولا حفْر آبار، ولا دوابّاً لاستخراج الماء، و إنما تجري من تحت أشجاره الأنهار، وقد قضى صاحبه العمر في غرس أشجاره وتنميته، ثم بعد ذلك لما صار في حالة من الكمال، وصاحبه في حالة من الضعف، حيث ذهبت زهرة شبابه، وصار إلى العجز والشَّيبة، أصابه هذا الإعصار الشديد الذي فيه نار، فأحرقه، فهكذا تُحْرِقُ المعاصي الطاعات وتقضي عليها.

القول الرابع: أنَّ ذلك في حق من يتبع إنفاقه بالمنِّ والأذى، وقد ذهب إلى هذا جماعة، منهم: ابن زيد[٢]، وابن عطية[٣]، وصاحب التفسير الكبير[٤]، ومن المعاصرين: الشيخ ابن عثيمين[٥] رحم الله الجميع.

وهكذا قال ابن الجوزي في زاد المسير[٦]، حيث ربطها بما قبلها، وهو قوله تعالى: ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ ﴾ فنبَّههم على الحال التي تؤو ل إليها النَّفقة إذا حصل بعدها الْمنُّ أو الأذى، فقال: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ إلى آخره. فالنفقة التي تكون لله كالجنة، ثم بعد ذلك إذا جاء المنُّ أبطلها.

القول الخامس: من أهل العلم من وسَّع المعنى، وقال: هذا يشمل كل ما يحبط الأعمال ويبطلها، فيدخل فيه: الرياء، ويدخل فيه: الْمنُّ والأذى، وكذلك أيضا: من أعقب

---

[١] طريق الهجرتين (ص ٣٧٢-٣٧٣).

[٢] انظر: جامع البيان (٥/ ٥٤٩).

[٣] انظر: المحرر الوجيز (١/٣٦٠).

[٤] انظر: مفاتيح الغيب (٧/٥٢ )، وقال: " وأما إذا أعقب إنفاقه بالْمنِّ أو بالأذى كان ذلك كالإعصار الذي يُحْرِق تلك الجنة، ويعقب الحسرة والحيرة والندامة".

[٥] انظر: تفسير سورة البقرة (٣/ ٣٣١).

[٦] انظر: زاد المسير (١/ ٢٤٠).

أعمالَه الطيبة بالمعاصي. وبه قال جماعة من أهل العلم، كمجاهد، وقتادة، والرَّبيع[(١)]. يقول الحسن البصري رحمه الله:" هذا مثَل قَلَّ —والله– من يعقله من الناس: شيخ كَبُر سنُّه، وضعف جسمه، وكَثُر صبيانه، أفقر ما كان إلى جنته، وإنَّ أحدكم —والله– أفقر إلى عَمله إذا انقطعت عنه الدنيا "[(٢)]. وهو اختيار الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله، فقد قال: "وهذا الْمثَل مضروب لمن عمل عملاً لوجه الله تعالى من صدقة أو غيرها ثم عمل أعمالاً تفْسِده"، وتكلَّم على هذا المعنى بكلام حسنٍ جيد يصوِّر فيه حقيقة الحال، وما آل إليه أمر هذا العامل" فقال: "وتلك الْمفسِدات التي تفسِد الأعمال بمنزلة الإعصار الذي فيه نار، والعبد أحوج ما يكون لعمله إذا مات وكان بحالة لا يقدر معها على العمل، فيجد عمله الذي يؤمِّل نفعه هباء منثورا ﴿وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[النور: ٣٩]، فلو علم الإنسانُ وتصور هذه الحال، وكان له أدنى مسكَة من عقل لم يقدم على ما فيه مضرته ونهاية حسرته، ولكن ضعف الإيمان والعقل، وقلَّة البصيرة يصيِّر صاحبه إلى هذه الحال التي لو صدرت من مجنون لا يعقل لكان ذلك عظيماً، وخطره جسيما"[(٣)]. ولهذا حثَّ الله عز وجل على التفكر والاعتبار بهذا الْمثل، وهذا القول له وجه ظاهر.

هذا وقد مضى كلام للحافظ ابن القيم رحمه الله تعالى يربط فيه بين هذه الأمثال المضروبة في باب الإنفاق يَحسن مراجعته[(٤)].

المطلب الثاني : معنى الْمثل باعتباره مفرَّقَا، وتفسير أجزائه:

---

(١) انظر الآثار الواردة عنهم في: جامع البيان (٤/ ٦٨٥- ٨٦٧ )، قال ابن عطية رحمه الله تعالى: " فهذا نظر يحمل الآية على كل ما يدخل تحت ألفاظها، وقال بنحو هذا مجاهد وقتادة والربيع وغيرهم" المحرر الوجيز (١/ ٣٦٠).

(٢) انظر: البحر المحيط (٢/ ٦٧٢)، الجواهر الحسان ( ١/ ٥٢٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (ص ١١٤).

(٤) إعلام الموقعين (١/ ١٤١-١٤٢)، وقد مضى ص ٧٠.

بيان التصوير في الْمثل: يصوِّر الله تبارك وتعالى بهذا الْمثل حالاً بائسة، ونهاية تعيسة[1]، وذلك على النحو الآتي: ١-تصوير حال الجنة: فقد صوَّر الجنة بأنها ﴿ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ وثمار أُخرى متنوعة، ﴿ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ ، لكنه ذكر النخيل والأعناب على وجه الخصوص لمزيتها، فهي أنفع وأنْفس الثِّمار؛ لأنها فاكهة وقوت ودواء وحلْوى وشراب، ولها صورة جميلة تستهوي الناظرين حينما تكون تلك الثمار على الأشجار متراكمة -أعني ثمار النخيل والأعناب-.

٢-تصوير حال صاحبها: وصوَّر حال صاحبها رجلاً كبير السِّن، لا قُدرة له على الكسب غير تلك الجنة، ولا يخفى أن كبر السِّن مظنَّة الحرص، وهو أيضاً مع ذلك ذو عيال وذرية ضعفاء وقُصَّر، فيكون أَحنا ما يكون عليهم، وهم كَلٌّ عليه لا ينفعونه بشيء، ولا يغنون عنه في عمل يقومون به فيكفونه الْمؤونة في الكسب والتجارة، فهو محتاج عاجز.

تلك الحال يكون صاحبها بحاجة إلى تلك الجنة أعظم من حاجة غيره من أصحاب الضَّيعات إلى ضيعاتهم، فحاله حال شدَّة ومحْنة، ويتعلق به هؤلاء من المحتاجين والعاجزين، فيكون ذلك مضاعفاً لمحنيه، فإذا حلَّ بها مَا حلَّ فهلكت صار إلى حسرة على فَواتها مع حاجته وحاجة عياله.

٣-تصوير ما آل إليه أمرها: كما صوَّر الله تبارك وتعالى ما أصاب ووقع لتلك الجنة ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ ﴾.

قوله تعالى: ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ ﴾: المراد بالإعصار في الآية الكريمة: اختلف المفسرون في بيان المراد بالإعصار على أقوالٍ متعددة: الأول: ما ذَهب إليه الأكثر من أنَّه

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٤، التحرير والتنوير (٥٣/٣).

ريح شديدة تقلع الأشجار والنبات، وبه قال ابن كثير[١]، وصاحب التحرير والتنوير[٢]، وغير هؤلاء[٣].

الثاني: هي العاصف التي ترتفع إلى السماء كأنها عمود وتستدير وتلتف، وهو ما يعرف بالزوبعة، وهي معروفة، وهذا الذي ذهب إليه: الزجاج[٤]، والمهدوي[٥]، والبغوي[٦]، وصاحب التفسير الكبير[٧]، والقرطبي[٨]، وابن القيم[٩]، والسعدي[١٠]. لماذا قيل للإعصار ذلك؟ قال المهدوي: " لأنها تلتف التفاف الثوب في العصر"[١١].وقد ضعَّفه ابن عطية رحمه الله تعالى[١٢] ، وعقَّب القرطبي رحمَه الله تعالى على تضعيف ابن عطية رحمه الله تعالى بقوله: "بل هو صحيح، لأنه المشاهد المحسوس، فإنه يصعد عمودا ملتفًا"[١٣]. قوله تعالى: ﴿ فِيهِ نَارٌ ﴾: اختلف المفسرون في المقصود بذلك على قولين: الأول: أنَّ المقصود بالنار هنا: شدَّة الحرارة، وهي المسمَّاة: بريح السَّموم[١٤].

---

[١] انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٦٩٦).

[٢] انظر: التحرير والتنوير (٣/ ٥٤).

[٣] انظر: زاد المسير (١/ ٢٤٠)، تفسير الجلالين (ص ٥٩).

[٤] انظر: معاني القرآن وإعرابه (١/ ٣٤٩).

[٥] انظر: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل (١/٥٧٥).

[٦] انظر: معالم التنزيل (١/ ٣٢٩).

[٧] انظر: مفاتيح الغيب (٧/ ٥٢).

[٨] انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣١٩ ).

[٩] انظر: طريق الهجرتين (ص ٣٧٢).

[١٠] انظر: تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٤.

[١١] انظر: التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل (١/٥٧٥).

[١٢] انظر: المحرر الوجيز (١/ ٣٦١).

[١٣] انظر: الجامع لأحكام القرآن (٣/ ٣١٩).

[١٤] انظر: جامع البيان (٥/ ٥٥٢- ٥٥٣).

الثاني: هي ريح عاصف، و سموم شديدة، كما يقول ابن عباس و ابن زيد. وقال السُّدي: حارَّة[١].

والقولان متقاربان، بل يرجعان إلى معنى واحد. والذي يبدو -والله تعالى أعلم-: أنهم قالوا ذلك لكونهم لم يتصوروا إعصاراً فيه نار على الحقيقة، فقالوا: ﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾ يعني: سموم ريح حارَّة. ثم أورد بعضهم على نفسه أن هذا الإعصار يكون أيضاً في الشتاء، وفي المناطق الباردة، فقالوا: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " اشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضا؛ فأذن لها بنفسين، نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشدُّ ما تجدون من الحرِّ، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير " [٢]. قالوا: هذا معنى كونه فيه نار: إمَّا شدَّةُ برد[٣] وإما شدَّةُ حرٍّ. والأقرب أنَّه على ظاهره﴿إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ﴾؛ولهذا قال الله عز وجل: ﴿فَٱحْتَرَقَتْ﴾ : وقبل سنوات[٤] ثار إعصار في جنوب ولاية (ساو باولو) البرازيلية، له لسان من اللَّهب يصل ارتفاعه في بعض الأحيان إلى مئات الأمتار علواً في الهواء، وتسبب في حرائق تلتهم بسرعة مدمِّرة كل ما في طريقها. وهناك إعصارات مشابهة، كان منها إعصار فيه نار تسبب بمصرع (٣٨٠٠٠ ) شخص في ربع ساعة في اليابان عام١٣٤١هـ الموافق ١٩٢٣ م. وهذا من وجوه الترجيح في التفسير، فالمفسرون قد يختلفون في معنى لفظة أو نحو ذلك، فيمكن أن يرجَّح بمثل هذا مما هو واقع، فبعضهم لا يتصور مثلاً إعصاراً فيه نار، وهذا غير ما يسمَّى بالتفسير العلمي، فما نحن فيه شيء آخر لا يحتاج إلى نظريات، ولا يحتاج إلى نظر في القضية هل هي ثابتة أو لا؟ وهل تحتملها الآية أو لا ؟. وإنما: هل يوجد إعصار فيه نار أو لا يوجد ؟ فالذين لم يتصوَّروا هذا قالوا: سموم

---

[١] انظر: جامع البيان (٥/ ٥٥٢- ٥٥٤).

[٢] أخرجه البخاري ( ٥٣٦)، ومسلم (٦١٧).

[٣] وممن قال بأنه شدة البرد: الحسن البصري، والضَّحَّاك، انظر: جامع البيان (٥/ ٥٥٤).

[٤] في شهر رمضان من عام ١٤٣١هـ، وقد نشرت مواقع الأخبار على شبكة الانترنت في منتصف رمضان أخبار ذلك الإعصار مع مشاهد مُصوَّرة منه.

حارة، وفي وقت البرد: زمهرير، كل ذلك نفس لجهنم، هذا معنى (فيه نار) عندهم. والصحيح أن نقول: فيه نار على الحقيقة، كما قال الله تبارك وتعالى، والله أعلم.

## المبحث الخامس : المَثَلُ الخامس

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾. [البقرة: ٢٧٥].

المطلب الأول : المناسبة في ذكر الْمثل: لَمَّا ذكر الله تبارك وتعالى النَّفقات التي تكون على سبيل التبرعات أعقب ذلك بالحديث عن أَكَلَةِ الرِّبا الذين يأكلون أموال الناس بالباطل .قال ابن كثير رحمه الله :" لما ذكر تعالى الأبرار المؤدِّين النفقات، الْمخرجين الكَوات، الْمتفضِّلين بالبرِّ والصدقات لذوي الحاجات والقرابات في جميع الأحوال والأوقات، شرع في ذكْر أَكَلَة الربا وأموالِ الناسِ بالباطل وأنواعِ الشبهات "[1].

[1] تفسير القرآن العظيم (١/٥٤٦).

**المطلب الثاني : معنى الْمَثَل (الْكُلِّي) باعتباره مُرَكَّبًا**: قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: "يُخبر تعالى عن أَكَلَة الربا وسوء مآلهم وشدَّة منقلَبهم، أنهم لا يقومون من قبورهم ليوم نشورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أي: يصرعه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم[1] حيارى سكارى مضطربين، متوقعين لعظيم النَّكال وعسير الوبال"[2].

**المطلب الثالث : معنى الْمَثَل باعتباره مُفَرَّقًا، وتفسير أجزائه**: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا﴾ "أي: يعاملون به، وإنما خصَّ الأكل لأنه معظَم المقصود من المال"[3].

قوله تعالى: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ "يعني: يوم القيامة"[4]. ﴿يَتَخَبَّطُهُ﴾ التَّخبُّط: من خبطَه، إذا ضربه ضرباً شديداً فاضطرب له، أي: تَحَرَّكَ تَحَرُّكًا شديداً، ولما كان من لازم هذا التَّحرُّك عدمُ الاتِّساق، أطلق التَّخبُّط على اضطراب الإنسان من غير اتساق، ويقالُ للذي يتصرفُ في أمرٍ ولا يهتدي فيه: يَخبطُ خبطَ عَشَّواء ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ قيل: إنَّها متعلقة بالتَّخبُّط ، أي: "لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان، وهذا التخبط ناتج من الْمسِّ"[5]. ويحتمل أن يكون قوله: ﴿مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ متعلقاً بقوله: ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ أي: لا يقومون من الْمسِّ الذي بهم إلا كما يقوم المصروع من جنونه [6].

و هذا الْمثل فيه تصوير لحالة كريهة بشعة تنفر عنها الطِّباع والنفوس السَّويَّة.

---

[1] هذا على أحد الأقوال في تفسيرها، وسيأتي مزيد إيضاح وتفصيل في ذلك.

[2] تيسير الكريم الرحمن، ص ١١٦.

[3] ما بين الأقواس من كلام البغوي في معالم التنزيل (١/ ٣٤٠).

[4] السابق.

[5] السابق

[6] انظر: ارشاد العقل السَّليم ( ١/٢٦٦)، محاسن التأويل (٢/٢١٩).

## المطلب الرابع : هل الْمَثَل تصويرٌ لحال الْمُرابين في الدنيا، أم لحالهم عندما يقومون من قبورهم؟

اختلف أهل العلم في ذلك على أقوال: القول الأول: أنه تصوير لحالهم في الدنيا. قيل: هو تصويرٌ لحالهم في تهافتهم وتسارعهم وجشعهم، فهو تشنيع عليهم، أو توعُّد بسوء الحال في الدنيا ولَقْيَ المتاعب ومرارة الحياة، تحت صورة يخالُها الرائي مستقيمة[١]. قال ابن عاشور:" ويجوز على هذا أن يكون المعنى: تشبيه ما يعجب الناس من استقامة حالهم، ووفْرة مالهم، وقوة تجارتهم، بما يظهر من حال الذي يتخبطه الشيطانُ حتى تخالَه قوياً سريع الحركة، مع أنه لا يملك لنفسه شيئاً"[٢]. وقال السعدي:"ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ أنه لما انسلَبت عقولُهم في طلب المكاسب الربوية خفَّت أحلامهم، وضعفت آراؤهم، وصاروا في هيئتهم وحركاتهم يشبهون المجانين في عدم انتظامها وانسلاخِ العقل الأدبي عنهم"[٣]. القول الثاني: أنَّه تصوير لحالَهم عند قيامهم من قبورهم . عن ابن مسعود ﷺ : أنَّه كان يقرأ: الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من الْمسِّ يوم القيامة[٤]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنونا يُخنق" [٥].

وهذا القول عليه عامَّة أهل العلم من السلف والخلف، كابن عباس[٦] وابن جبير[٧] ومجاهد[٨]والحسن[٩] والسُّدي[١] والربيع بن أنس[٢] وقتادة[٣] ومقاتل بن حيان[٤] وعكرمة[٥]

---

[١] انظر: التحرير والتنوير(٣/٨٢).

[٢] السابق.

[٣] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/١١٦

[٤] تفسير ابن أبي حاتم (٢/٥٤٤).

[٥] السابق.

[٦] انظر: جامع البيان ( ٥/٣٩).

[٧] انظر: السابق ( ٥/٤٠).

[٨] انظر: السابق ( ٥/٣٩).

[٩] انظر: تفسير ابن أبي حاتم ( ٢/٥٤٤).

وعكرمة[٥] والضَّحَّاك[٦] وابن زيد[٧] وابن قتيبة[٨] وابن جرير[٩] وابن كثير[١٠] وغيرهم[١١]. وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي :" أي: يصرعه الشيطان بالجنون، فيقومون من قبورهم حيارى سكارى مضطربين، متوقعين لعظيم النَّكال وعسير الوبال، فكما تقلَّبت عقولهم و ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وهذا لا يكون إلا من جاهل عظيم جهلُه، أو متجاهل عظيم عناده، جازاهم الله من جنس أحوالهم، فصارت أحوالُهم أحوالَ المجانين"[١٢].

وقال رحمه الله: "فكما كانوا في الدنيا في طلب المكاسب الخبيثة كالمجانين، عوقبوا في البرزخ والقيامة، أنهم لا يقومون من قبورهم إلى يوم بعثهم ونشورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾أي: من الجنون والصَّرع. وذلك عقوبة، وخزي، وفضيحة لهم، وجزاء لهم على مراباتهم ومجاهرتهم بقولهم: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فجمعوا بجراءتهم بين ما أحل الله، وبين ما حرم الله، واستباحوا بذلك الربا"[١٣].

وقال ابن قتيبة: " هذا في يوم القيامة، يريد أنه إذا بعث الناس من قبورهم خرجوا مسرعين، يقول الله سبحانه: ﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾

---

[١] انظر: جامع البيان ( ٥/٤١).

[٢] انظر: السابق ( ٥/٤٠).

[٣] انظر: السابق ( ٥/٤٠).

[٤] انظر: تفسير ابن أبي حاتم ( ٢/٥٤٤).

[٥] انظر: تفسير ابن أبي حاتم ( ٢/٥٤٤).

[٦] انظر: جامع البيان ( ٥/٤٠).

[٧] انظر: السابق ( ٥/٤١).

[٨] انظر: غريب القرآن ( ص ٨٨).

[٩] انظر: جامع البيان ( ٥/٣٨).

[١٠] انظر: تفسير القرآن العظيم ( ١/٧٠٨).

[١١] انظر: تفسير الماوردي (١/٣٤٨)، تفسير القرآن العظيم (١/٥٤٦).

[١٢] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/١١٦).

[١٣] السابق (١/٩٥٨).

[المعارج: ٤٣] أي يسرعون، إلّا أَكَلَة الربا، فإنهم يقومون ويسقطون، كما يقوم الذي يتخبَّطُه الشيطان ويسقط؛ لأنهم أكلوا الربا في الدنيا فأرباه الله في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم، فهم ينهضون ويسقطون، ويريدون الإسراع فلا يقدرون "[١].

القول الثالث: حَمل الآية على الإطلاق، ففي الدنيا هم في حال من السَّكْرة والقَلَق والهلَع والجشع والتَّسارع في طلب المكاسب كالذي يتخبَّطُه الشيطان من الْمسِّ بتهافتهم، وفي الآخرة يقومون من قبورهم بهذه الهيئة وبهذه الحال التي ذكرها الله تبارك وتعالى. و "في إطلاقه إشعار بحالهم في الدنيا والبرزخ والآخرة، ففي إعلامه إيذانٌ بأن آكلَه يُسلَبُ عقلُه ويكون بقاؤه في الدنيا بخرق لا بعقل. يقبل في محل الإدبار، ويدبر في محل الإقبال"[٢].وقال البقاعي[٣]: " وهو مؤيَّد بالْمشاهدة، فإنَّا لم نر ولم نسمع قطُّ بآكل ربا ينطق بالحكمة، ولا يشهر بفضيلة، بل هم أدنى الناس وأدنسهم"[٤]. ولأحد المعاصرين كلام جيدَ يصوِّر فيه حال الْمرابين – في عصرنا الحديث– الذي تقوم فيه الحضارة الغربية على الرِّبا، فقال:" إنهم لا يقومون في الحياة ولا يتحركون إلا حركةَ الْممسوس الْمُضطرب القَلق الْمتخبِّط الذي لا ينالُ استقراراً ولا طُمأنينة ولا راحة.. وإذا كان هناك شكٌّ في الماضي أيام نشأة النظام الرأسمالي الحديث في القرون الأربعة الماضية، فإن تجربة هذه القرون لا تبقي مجالاً للشك أبداً. إن العالَم الذي نَعيشُ فيه اليوم في أنحاء الأرض هو عالَم القَلَق والاضطراب والخوف والأمراض العصبية والنفسية باعتراف عقلاء أهلَه ومفكريه وعلمائه ودارسيه، وبمُشاهدات الْمراقبين والزائرين العابرين لأقطار الحضارة الغربيَة؛ وذلك على الرغَم من كل ما بلغته الحضارة المادية، والإنتاج الصناعي في مجموعه من الضخامة في هذه الأقطار. وعلى الرغم من كل مظاهر الرخاء المادي التي تأخذُ بالأبصار.. ثم هو عالم الحروب الشاملة والتهديد الدائم بالحروب المبيدة،

---

[١] تأويل مُشْكل القرآن (ص ٢٤٥).

[٢] ما بين الأقواس من كلام الحرالي، نَقَلَه عنه البقاعي في نظم الدّرر ( ٤/ ١١٠).

[٣] إبراهيم بن عمر بن الحسن الرباط البقاعي برهان الدين توفي سنة ( ٨٨٥هـ)، انظر: طبقات المفسرين، ص ٣٤٧، البدر الطالع ( ١/ ١٩ – ٢٢ ).

[٤] نظم الدّرر ( ٤/ ١١٠).

وحرب الأعصاب، والاضطرابات التي لا تنقطع هنا وهناك! إنها الشِّقوة البائسة المنكودة، التي لا تزيلها الحضارة المادية، ولا الرخاء المادي، ولا يسر الحياة المادية وخفضها ولينها في بقاع كثيرة. وما قيمة هذا كله إذا لم ينشئ في النفوس السعادة والرضى والاستقرار والطمأنينة. إنها حقيقة تواجه من يريد أن يرى ولا يضع على عينيه غشاوة من صنع نفسه كي لا يرى حقيقة أن الناس في أكثر بلاد الأرض رخاء عاما، في أمريكا، وفي السويد، وفي غيرهما من الأقطار التي تفيض رخاء مادياً.. أن الناس ليسوا سعداء.. أنهم قلقون يطل القلق من عيونهم وهم أغنياء! وأن الملل يأكل حياتهم وهم مستغرقون في الإنتاج! وأنهم يغرقون هذا الملل في العربدة والصخب تارة. وفي التقاليع الغريبة الشاذة تارة. وفي الشذوذ الجنسي والنفسي تارة. ثم يحسون بالحاجة إلى الهرب، الهرب من أنفسهم، ومن الخواء الذي يعشش فيها! ومن الشقاء الذي ليس له سبب ظاهر من مرافق الحياة وجرياتها، فيهربون بالانتحار، ويهربون بالجنون، ويهربون بالشذوذ! ثم يطاردهم شبح القلق والخواء والفراغ ولا يدعهم يستريحون أبداً! لماذا؟ السبب الرئيسي طبعاً هو خواء هذه الأرواح البشرية الهائمة المعذبة الضالة المنكودة على كل ما لديها من الرخاء المادي، من زاد الروح، من الإيمان، من الاطمئنان إلى الله.. وخواؤها من الأهداف الإنسانية الكبيرة التي ينشئها ويرسمها الإيمان بالله، وخلافة الأرض وفق عهده وشرطه. ويتفرع من ذلك السبب الرئيسي الكبير بلاء الربا، بلاء الاقتصاد الذي ينمو ولكنه لا ينمو سوياً معتدلاً بحيث تتوزع خيرات نموه وبركاتها على البشرية كلها. إنما ينمو مائلاً جانحاً إلى حفنة المموِّلين المرابين، القابعين وراء المكاتب الضخمة في المصارف، يقرضون الصناعة والتجارة بالفائدة المحددة المضمونة، ويجبرون الصناعة والتجارة على أن تسير في طريق معين ليس هدفه الأول سد مصالح البشر وحاجاتهم التي يسعد بها الجميع، والتي تكفل عملاً منتظماً ورزقاً مضموناً للجميع، والتي تهيئ طمأنينة نفسية وضمانات اجتماعية للجميع.. ولكن هدفه هو إنتاج ما يحقق أعلى قدر من الربح ولو حطم الملايين، وحرم الملايين، وأفسد حياة الملايين، وزرع الشك والقلق والخوف في حياة البشرية جميعاً! وصدق الله العظيم: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ وها نحن أولاء نرى مصداق هذه الحقيقة في واقعنا

العالمي اليوم "[١]. والأقرب كما يدلُّ عليه ظاهر السياق -والله تعالى أعلم- أنَّ ذلك القيام هو في القيامة. وما ذُكِر من أن ذلك يصوِّر أيضاً حالهم في الدنيا غير مستبعد، وإن كان ظاهر السياق أنَّ ذلك كما سبق في القيامة.

مسألة: دخول الجني في الإنس: هذه المسألة لها تعلُّق بهذه الآية، والله تبارك وتعالى يقول : ﴿كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وجود الجن ثابت بكتاب الله، وسنة رسوله، واتفاق سلف الأمة، وأئمتها، وكذلك دخولُ الجنِّي في بدن الإنسان ثابت باتفاق أئمة أهلِ السنة والجماعة.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ وفي الصحيح عن النبي ﷺ : «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[٢] .

وقال عبدُ الله بن الإمام أحمد بنِ حنبل: قلت لأبي: إن أقواماً يقولون: إن الجني لا يدخل في بدن المصروع، فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على لسانه. وهذا الذي قاله أَمر مشهور، فإنه يُصرعُ الرجلِ فيتكلم بلسان لا يعرف معناه، ويضربُ على بدنه ضرباً عظيماً لو ضُرب به جَملٍ لأثّر به أثراً عظيماً، والمصروع مع هذا لا يُحس بالضرب، ولا بالكلام الذي يقوله. وقد يجر المصروع، وغير المصروع، ويجر البساطَ الذي يجلس عليه. ويُحوِّل آلات، وينقل من مكان إلى مكان، ويَجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضرورياً بأن الناطق على لسان الإنسي والمحرك لهذه الأجسام جنس آخر غير الإنسان. وليس في أئمة المسلمين من ينكر دخول الجني في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك وادَّعى أن الشرع يكَذّب ذلك، فقد كَذَب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك"[٣].

---

[١] ما بين الأقواس من كتاب: في ظلال القرآن (١/٣٢٦-٣٢٧).

[٢] أخرجه البخاري (٢٠٣٩).

[٣] الفتاوى الكبرى (٣/١٢-١٣)

## الخاتمة

المثل القرآني : إبراز المعنى في صورة رائعة موجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيها أو قولًا مرسلًا.

يهدف المثل القرآني إلى تقريب المعقول في صورة المحسوس ، وترسيخ المعاني في الأذهان ، فهو من كمال الحجة ومن أروع أساليب البيان .

ضرب الله تعالى المثل في هذه السورة الكريمة للإنفاق وثواب النفقة ونمائه عند ربه العالمين ، لما للإنفاق من أهمية في المجتمع ففيه تفريج للكرب وسدٌّ لحاجات الضعفاء والعاجزين ، وإطعام للفقراء والمساكين، وإنعاش للتجارات والصناعات والزراعات وغيرها من الأنشطة، بما ينهض بالمجتمع المسلم ويطهره من الشح والطمع والأنانية والأثرة وما ينبثق عنها من ضغائن وجرائم، كما ضرب المثل لمن ينفق ابتغاء مرضاة الله تعالى عن رضا نفس وطمأنينة قلب ، وضرب المثل بالمرائي الذي لا ينتفع بما أنفقه ساعة يغدو أحوج ما يكون إليه في آخرته . كذلك ضرب الله المثل بالمرابي الذي يمسك عن الإنفاق الذي شرعه الله لإقراض الناس بالفوائد المركبة امتصاصا لدمائهم ونهبا لجهدهم وعرقهم .

## فهرس المصادر


١. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، محمد بن محمد العمادي أبو السُّعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت، بدون تاريخ.

٢. أُسدَ الغابة ، عز الدِّين ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ.

٣. إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، ابن قيِّم الجوزية، تحقيق: محمد عبدالسلام ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤. البحر المحيط، محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٥. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

٦. تأويل مُشْكل القرآن ، عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدَّينوري، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العَلمية، بيروت.

٧. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع- تونس، ١٩٨٤م.

٨. التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، أحمد بن عمار المَهْدوي، تحقيق: محمد زيد محمد طاهر، وفرح نَصْري، اصدار وزارة الأوقاف القطرية، الطبعة الولى، ١٤٣٥هـ.

٩. تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم الرَّازي، تحقيق: أسعد الطَّيِّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

١٠. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

١١. تفسير القرآن الكريم (الفاتحة- البقرة)، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، صفر عام ١٤٢٣هـ.

١٢. النكت والعيون (تفسير الماوردي )، علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيِّد ابن عبدالمقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنَّان، عبدالرحمن بن ناصر السَّعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر.

١٥. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٣هـ.

١٦. جمهرة الأمثال، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، نشر دار الفكر، بيروت.

١٧. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب

الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤هـ.

١٨. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

١٩. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة – جامعة دمشق، دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م.

٢٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق : سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م.

٢٢. طريق الهجرتين وباب السعادتين ، ابن قيِّم الجوزية، دار السَّلفية، القاهرة–مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ.

٢٣. غريب القرآن ، عبدالله بن مسلم بن قُتَيبة الدَّينوري، تحقيق: سعيد اللّحام.

٢٤. الفتاوى الكبرى، أ حمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرَّاني، تحقيق: حسنين محمد مخلوف، دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٣٨٦،

٢٥. في ظلال القرآن ، سيد قطب، دار الشُّروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، ١٤١٢هـ.

٢٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، ضبط: يوسف الحمادي، مكتبة مصر، بدون تاريخ.

٢٧. مجموع الفتاوي، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرَّاني أبو العباس، جمعه: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف، المدينة المنورة.

٢٨. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عطيه الأندلسي، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري والسيد عبد العال السيد إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية، بدون التأريخ.

٢٩. مدارج السالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين، ابن قيِّم الجوزية، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٠. معالم التنزيل، محيي السنة البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر بالاشتراك، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ

٣١. معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق ابراهيم بن السَّري الزَّجَّاج، تحقيق: عبدالجليل بن عبده شلبي، دار الكتب- بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٢. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر الرَّازي، دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٣. الموافقات في أصول الفقه، للشاطبي: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة — بيروت.

٣٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم البقاعي، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

٣٥. التفسير البسيط، أبو الحسن الواحدي، حقِّق في رسائل جامعية، طبع عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.